الدكتــور جميــل حمــداوي

ســوســيــولوجيــا النـــخــب

(النخـبة المغربــية أنـمــوذجــا)

المؤلف: جميل حمداوي

الكتاب: سوسيولوجيا النخب(النخبة المغربية أنموذجا)

الطبعة الأولى:٢٠١٥م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الإهـــداء

إلى الأخوين العزيزين:

محمد حمداوي ومصطفى حمداوي

أرجو لهما النجاح والفلاح والحياة السعيدة

والرزق العميم

وجنة الفردوس

آمين يارب العالمين!

المقدمـــــة

يعد مفهوم النخبة (**Elite**) من المصطلحات التي يعنى بها علم الاجتماع السياسي. ويقصد بها طبقة أو أقلية من الصفوة المختارة من أفراد المجتمع، تتمتع بمؤهلات وقدرات طبيعية أو مكتسبة، وتعرف بامتيازاتها السياسية والاقتصادية والعسكرية والعلمية والثقافية.أي: تقترن النخبة بالقوة، والجاه، والنسب، والوراثة، والنفوذ، والعلم، والدين، والسلطة، والمجد، والشهرة، والتميز الاجتماعي الخارق... ومن ثم، يحيلنا مفهوم النخبة على الأفضلية والانتقاء والتميز والأرستقراطية. كما تعني النخبة الاصطفاء، والاختيار، والتفوق على الآخرين...

إذاً، ما مفهوم النخبة؟ وما تطورها التاريخي؟ وما خصائصها ومرتكزاتها؟ وما أهم النظريات السياسية والاجتماعية التي تناولت مفهوم النخبة؟ وما أنواع النخبة؟ وما أدوار النخبة في المجال الاجتماعي والسياسي؟ وما أهم الانتقادات التي يمكن توجيهها إلى النخب؟

هذا ماسوف نرصده في كتابنا هذا الذي عنوناه بـ(**سوسيولوجيا النخب(النخبة المغربية أنموذجا)**)، على أساس أن النخبة موضوع سياسي واجتماعي في الوقت نفسه. ويعني هذا أن التركيز على أدوار النخبة يسعفنا في فهم المجتمع وتفسيره وتأويله، ومعرفة أسباب اختلاله واضطرابه واعوجاجه، بهدف إيجاد مختلف الحلول لمعالجته لتحقيق نوع من النظام والتوازن والتآلف، وخاصة إذا أخذنا بسياسة تداول النخب وتناوبها حول السلطة.

و نرجو من الله عز وجل أن يوفقنا في هذا الكتاب ، و يسدد خطانا، ويرشدنا إلى ما فيه صالحنا، ونستغفره عن هفواتنا وكبواتنا وأخطائنا وزلاتنا. كما نستسمح القراء الأفاضل عما في هذا الكتاب من نقص

وتقصير ونسيان، فالكمال والتمام من صفات سبحانه وتعالى جل شأنه وعلا، وماتوفيقي إلا بالله.

المطلب الأول: مفهـــوم النخبـــة

تشتق كلمة (**النخبة**) من فعل الثلاثي المتعدي نخب، ويعرفها ابن منظور في معجمه (**لسان العرب**) بقوله:" نخب : انتخب الشيء : اختاره . والنخبة : ما اختاره منه . ونخبة القوم ونخبتهم : خيارهم . قال الأصمعي : يقال هم نخبة القوم ، بضم النون وفتح الخاء . قال أبو منصور وغيره : يقال نخبة ، بإسكان الخاء ، واللغة الجيدة ما اختاره الأصمعي .ويقال : جاء في نخب أصحابه أي في خيارهم . ونخبته أنخبه إذا نزعته . والنخب:النزع . والانتخاب : الانتزاع .والانتخاب : الاختيار والانتقاء،ومنه النخبة ؛ وهم الجماعة تختار من الرجال ، فتنتزع منهم . وفي حديث علي - عليه السلام - وقيل عمر: وخرجنا في النخبة ؛ النخبة ، بالضم : المنتخبون من الناس المنتقون . وفي حديث ابن الأكوع :انتخب من القوم مائة رجل .ونخبة المتاع : المختار ينتزع منه . وأنخب الرجل : جاء بولد جبان ، وأنخب : جاء بولد شجاع؛ فالأول من المنخوب، والثاني من النخبة. الليث :يقال انتخبت أفضلهم نخبة ..."[1]

يتبين لنا، من خلال هذه التفسيرات اللغوية والمعجمية، أن كلمة النخبة تدل على الاختيار والانتقاء والاصطفاء والانتزاع، واختيار أفضل الناس وأنقاهم وأكثرهم شجاعة.

---

[1] - ابن منظور: **لسان العرب**، حرف النون، مادة نخب، الجزء الرابع عشر، دار صادر، بيروت، لبنان، طبعة ٢٠٠٣م.

وهناك مفاهيم تقترب من النخبة (Elite) مثل: الصفوة[٢] ، والأنتيليجينسيا[٣]، والتيقنوقراط[٤]، والأقلية[٥] ، والطبقة[٦]، والخاصة[٧]، والأعيان[٨]، والأوليغارشية[٩]، والملإ[١٠]...

ويقصد بالنخبة ، على مستوى الاصطلاح، تلك الفئة الراقية المالكة للنفوذ والقوة والمؤهلات والامتيازات الطبيعية والمكتسبة. ويعني هذا أنها صفوة

---

[٢] - الصفوة: صَفْوَةِ الْمُجْتَمَعِ : مِنْ نُخْبَتِهِ ، مِنْ خِيَارِ النَّاسِ.

[٣] - يقصد بالأنتيليجينسيا (**L'intelligentsia**) طبقة أو فئة اجتماعية تعنى بالإنتاج والإبداع وممارسة الفكر. بمعنى أنها طبقة من المثقفين المتنورين.وتشمل الأساتذة، والمبدعين، والمفكرين، والفنانين. وفي القرن الواحد والعشرين، يطلق هذا المفهوم على النخبة المثقفة الوطنية القريبة من السلطة التي تسير حقلا علميا أو أدبيا أو فنيا. ولها دور وساطي وتنويري مهم داخل المجتمع.

[٤] - **التقنوقراط أو التقنوقراطية**: شكل من أشكال الحكومة. ويقصد بها حكومة التقنية أو حكومة الكفاءات. وتتشكل هذه الحكومة الأقلية من النخبة العلمية الفنية المثقفة، وهي حكومة متخصصة في الاقتصاد والصناعة والتجارة والإعلاميات والهندسة. وغالبا، ما تكون غير حزبية .

[٥] - **الأقلية:** ضد الأغلبية. جَمَاعَةٌ تَرْبِطُهَا أَوَاصِرُ القَرَابَةِ وَالأَصْلِ لُغَةً وَدِيناً ووَطَناً ، تَعِيشُ وَسَطَ شَعْبٍ يَفُوقُهَا عَدَداً، مثل: الأقلية اليهودية في المغرب.

[٦] - الطبقة: جماعةٌ من الناس في زمنٍ واحد أو في أَزمانٍ مختلفة على مُستوى واحدٍ في العلم أَو الحرفة أو الصناعة.

[٧] - **الخاصة:** خلاف العامة. ويقصد بها ما هو مقصور ومحصور على فئة من الناس، دون العامة كلهم.

[٨] - **أعيان البلد** : سادتُها وأشرافها.

[٩] - **الأوليغارشية** (Oligarchy) أو (الأوليغاركية) يقصد بها حكم الأقلية أو هي فئة صغيرة من المجتمع تسيطر على مقاليد الحكم ، وتتميز بالحسب، والنسب، والنفوذ، والثروة، والسلطة العسكرية. ويرادفها في القرآن لفظ (**الملأ**).وغالبا، ما تحكم الحكومات الأوليغارشية عائلات وراثية ذات النفوذ المالي والسياسي والعسكري. ويعد أفلاطون أول من أشار إلى النخبة الأوليغارشية في كتابه(**الجمهورية**)، عندما صنف أنظمة الحكم إلى ثلاثة: الدولة المثالية (الجمهورية)، والدولة الديمقراطية، والدولة الأوليغارشية. وتبعه في ذلك تلميذه أرسطو الذي قسم الدول، في كتابه (**السياسة**)، إلى ستة أصناف: ثلاثة تحترم القانون وتتقيد به، وثلاثة لا تلتزم بالقانون، ومنها حكم الأوليغارشية. ومن ثم، فالأوليغارشية عند أرسطو هي حكومة الأثرياء ؛ لأنها تتمتع بسلطة المال والثروة والجاه والملكية الخاصة.

[١٠] - الملأ: أشراف القوم وعليتهم الذين يملأون العيون أبهة، والصّدور هيبة.

من الناس المتعلمين والمثقفين والناجحين والأذكياء والعباقرة والموهوبين ورجال الدين والمتفوقين الذين وصلوا إلى مناصب مهمة من الحكم والرئاسة والإدارة.ومن ثم، فالنخبة هي طبقة من الناس المصطفين الأخيار الذين يتولون أعلى المناصب في الدولة ؛ بسبب قدراتهم العقلية والذهنية والكفائية، وأيضا بسبب ذكائهم الخارق، ومواهبهم المتميزة، وتفوقهم السياسي والعلمي." وبالأخذ بمقولة جايتانو موسكا(Gaetano Mosca) يجب النظر إلى أي نخبة باعتبارها تتألف من أولائك الذين يشغلون قمة المواقع في الترتيب الهرمي للقيادة.[١١]"

ويعني هذا أن النخبة هي التي تسيطر على أعلى المناصب في هرم الدولة بفضل مؤهلاتها العلمية والفكرية والعقلية، أو بسبب تضحياتها الجسيمة في سبيل مصلحة الدولة والأمة. كما أنها الطبقة التي تملك القوة والنفوذ والسلطة والقرار في أعلى إدارات الدولة الحاكمة ووزاراتها. وتتميز بالوعي، والتواطؤ، والتماسك[١٢]. ومن هنا، فالنخبة هي التي تتحكم في السلطة ليس فقط في مجالها الخاص، بل كذلك في مجال الشؤون العامة[١٣].

وعليه، يحيل مفهوم النخبة أو الصفوة على مفهوم الانتقاء والانتخاب والاختيار والاصطفاء والتمايز والاختلاف.ومن ثم، فالنخبة هي التي تتمتع بمكانة عالية في السلطة، وتملك الحق في إصدار القرارات، ويكون لها تأثير بين في المجتمع.

---

[١١] - جون سكوت: **علم الاجتماع المفاهيم الأساسية**، ترجمة: محمد عثمان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية سنة ٢٠١٣م، ص:٣٦٢.

[١٢] - عبد الرحمن شحشي: (النخبة: مقاربة في المفهوم)، **نخب مغاربية : الخلفيات، المسارات والتأثير**، أعمال المنتدى المغاربي الثاني، منشورات مدى، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٢م،ص:٢٦.

[١٣] - جون واتربوري: **أمير المؤمنين : الملكية والنخبة السياسية المغربية**، ترجمة: عبد الغني أبو العزم، عبد الأحد السبتي، وعبد اللطيف الفلق، مؤسسة الغني، الرباط، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٤م، ص:١٣٤.

ويعرفها هانز دريتزل (Hanz Dreitzel) بقوله: " تتكون النخبة من الذين يحتلون مواقع سامية في جماعة ما ، أو في منظمة أو مؤسسة، وقد وصلوا إلى هذه المواقع المتميزة والعالية بفضل انتقائهم على أساس قدراتهم الكفائية الأساسية . ويملكون السلطة والتأثير بفضل المناصب التي يشغلونها، ولها قوة النفوذ، ويملكون قرار تغيير بنية المجتمع والمعايير التي تتحكم فيها. وتؤهلهم مكانتهم ليكونوا نموذجا للاقتداء والتأثير في أفراد جماعتهم[١٤] ."

إذاً، تعرف النخبة بامتلاكها للقوة والسلطة والنفوذ والذكاء والدهاء والقوة، والقدرة على إصدار القرارات، إلى جانب قوة التأثير المجتمعي. ومن ثم، فالنخبة هي جماعات وظيفية ، لسبب ما، تحتل موقعا اجتماعيا ساميا أو مكانة عالية، وتسهر على عمليات التخطيط، والتدبير، والتنفيذ، وتوزيع الأعمال، وإصدار القرارات، وتسيير المشاريع، وتقويم الإنجازات، وتعديل ما يمكن تعديله. ويعني هذا أن وظائف النخبة إدارية وسياسية في الأغلب.

ومن جهة أخرى، فالنخبة عبارة عن أفراد يمتلكون مواقع السلطة رسميا على رأس منظمة أو مؤسسة اجتماعية.أي: النخبة عبارة عن أفراد يحتلون قمة هرم السلطة ، ولهم القدرة على التأثير في القرارات السياسية. وكل الأفراد الذين لهم مواقع السلطة يشكلون النخبة.

وعليه، فالنخبة مجموعة من الأفراد ، نظرا لمواقعهم في المؤسسات العامة، يمتلكون قوة مهمة في التأثير في القرارات السياسية الوطنية. وباختصار، تعني النخبة الأفراد الذين يحتلون مواقع السلطة في المؤسسات الكبرى، ولهم قوة النفوذ والثروة والسلطة وحق إصدار

---

14 - Jacques Coenen-Huther: **Sociologie des élites** , 2004 ,p :101.

القرارات. وقد تعرف النخبة بأنها مجموعة من الأشخاص الذين يمتلكون مواقع مهمة، في مؤسسات قوية ، ويمتلكون قوة التأثير في السياسة الوطنية بشكل دائم مستمر.

المطلب الثاني: خصائــص النخبة

تتميز النخبة أو الصفوة أو الخاصة، مقارنة بالجماهير العامة أو بالعوام، بمجموعة من الصفات والخصائص والمميزات التي يمكن تحديدها فيما يلي:

❶ أقلية من أفراد المجتمع تحكم البلاد وفق عامل وراثي (الجاه أو الانتماء إلى طبقة الأعيان أو النبلاء)، أو وفق عامل الاستحقاق الشخصي (العلم والذكاء والحصول على شهادات عليا)؛

❷ فئة من الأفراد متميزة بمؤهلاتها وكفاءاتها مقارنة بباقي الطبقات والفئات الاجتماعية الأخرى؛

❸ فئة تمتلك القوة والنفوذ والهيمنة والسيطرة على السلطة السياسية. كما تمتلك صنع القرار والتأثير في الآخرين؛

❹ تمثل أقلية بالنسبة للمجتمع، وتمتلك من الثروة والقدرات والمواهب ما يجعلها تتميز عن باقي الطبقات الاجتماعية الأخرى؛

❺ تتميز الصفوة بمجموعة من الأفراد الذين يتميزون بالقدرات العالية في الأداء، في مجال تخصصهم؛

❻ تتمتع بسمة التمايز والاختلاف والقوة. بمعنى أن الصفوة هي التي تحصل على أعلى الدرجات في مجال عملها أو نشاطها الذي تزاوله؛

❼ قد تكون النخبة من فئة الثعالب أو من فئة الأسود.فالأولى تنتمي إلى الأقلية العليا ، وتمارس الحكم، وتمتلك الدهاء والحيلة والذكاء والإيديولوجيا، ولها قوة التأثير في الطبقات الاجتماعية الدنيا. في حين، تنتمي الثانية إلى الطبقة الاجتماعية العامة، وتمتلك الشجاعة وقوة الثورة لإسقاط النخبة الحاكمة.وقد تتحول إلى نخبة عليا عندما تسيطر على الحكم والسلطة وقوة النفوذ؛

❽ تحتل النخبة مواقع الصدارة والمناصب الكبرى في المؤسسات السياسية والاقتصادية والعسكرية؛

❾ جماعة وظيفية متميزة تقوم بمهمة التخطيط، والاستشراف، والتنفيذ، والتدبير، والتنظيم، والإشراف، والتوجيه، والتقويم، والتتبع، والمواكبة، وعملية التصحيح؛

❿ تمتلك النخبة قوة مهمة في التأثير في القرارات السياسية المحلية، والجهوية، والوطنية ، والدولية.

هذه هي - إذاً- أهم خصائص النخبة التي تتميز بوظائفها السامية ، وبأحقيتها الشرعية والقانونية والقضائية والدستورية في إصدار القرارات السياسية والاقتصادية والعسكرية والإدارية، مع إلزام الآخرين بتنفيذها وتطبيقها، مادامت تملك القوة، والجاه، والسلطة، والنفوذ، والمكانة الهرمية العالية في المجتمع...

المطلب الثالث: تاريـــخ النخبـــة

استعمل مصطلح النخبة (**Elite**) ، في الحقل الثقافي الغربي، وبالضبط في القرن السابع عشر الميلادي، للدلالة على السلع المتفوقة والمتميزة من حيث الجودة والإنتاج. وبعد ذلك، أطلق المفهوم على الوحدات العسكرية الخاصة وفئة النبلاء المتميزين. ولم ترد كلمة النخبة، في اللغة الإنجليزية، إلا في قاموس أكسفورد(**Oxford**) سنة ١٨٢٣م للدلالة على فئات اجتماعية متميزة وخاصة.بيد أن استعمال الكلمة - ميدانيا وواقعيا- لم يتحقق إلا في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي. أما امتدادات المفهوم في بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية ، فقد كان في سنة ١٩٣٠م، بعد انتشار نظريات النخبة، وخاصة نظرية فلفريدو باريتو(V.Pareto)[١٥].

هذا، وقد ارتبط مفهوم النخبة في المجتمع اليوناني، وخاصة في مدينة أثينا، في القرن الخامس قبل الميلاد، وفي فترة بريكليس الديمقراطي، بالرجل الشريف، وبالروعة والجمال والجودة والإتقان. ومن ثم، كان التركيز على جمالية الهندسة المعمارية، وروعة الجسد بغية تحقيق الفضيلة والسعادة الروحية الكاملة.

أما في المرحلة الرومانية، فقد ظهر القانون المدني الذي يجعل العقد شريعة المتعاقدين بين الإنسان وأخيه الإنسان. لذا، انصب الاهتمام كثيرا على حقوق المواطن الروماني، وحرياته الخاصة والعامة. لذا، اقترن مفهوم النخبة بالمواطنة الرومانية أو الذي يحمل صفة تلك المواطنة.

أما في العصور الوسطى، فقد كان الاهتمام بالله أكثر من الاهتمام بالإنسان. وقد ارتبط مفهوم النخبة في القرن السابع عشر الميلادي

---

[١٥] - توم بوتومور: **النخبة والمجتمع**، ترجمة: جورج جحا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية سنة ١٩٨٨م، ص:٥.

بالإنسان الشريف أو الإنسان الفارس الشجاع النبيل الذي يتميز بالأخلاق الرفيعة، ويمتلك رصيدا ثقافيا ومعرفيا متميزا ، مثل: ديكارت وباسكال.

وفي القرنين التاسع عشر والعشرين، ظهرت أزمة النخب، و افتقد مفهوم الإنسان الشريف، فأصبح الحديث عن نماذج متعددة من الإنسان لم تبلغ مرتبة الكمال والتميز، مثل: الإنسان الاقتصادي، والإنسان التقني، والإنسان الديمقراطي، والإنسان الإباحي، والإنسان الوجودي، والإنسان المستلب...

واليوم، هناك اعتراف صريح أو ضمني بالنخب في المجتمعات الرأسمالية الليبرالية التمثيلية؛ حيث يمكن الحديث عن النخب السياسية، والنخب التقنية، والنخب العسكرية، والنخب الاقتصادية...بيد أن أهم نخبة هي التي تسيطر على السلطة وزمام الحكم. في حين، ترفض الماركسية مفهوم النخبة الذي يحيل على الصراع الطبقي والتفاوت الاجتماعي، ووجود طبقة مهيمنة ومسيطرة ومستغلة ، وهي نخبة البورجوازية ، وطبقة مستغلة ومهيمنة عليها وهي طبقة العمال. لذا، فالماركسية ترفض فكرة النخب، و تؤمن بالصراع الجدلي الصيروري والمستمر. وبالتالي، فهي تناصر العمال ، في ثورتها الراديكالية، للقضاء على النخب الحاكمة والمالكة لوسائل الإنتاج.

وفيما يخص الثقافة العربية، فثمة نخب متنوعة، مثل: نخبة الحكام ورؤساء القبائل، ونخبة الكهان ورجال الدين، ونخبة الأسياد والأشراف والأعيان، ونخبة الفرسان، ونخبة كبار التجار والحرفيين، ونخبة المثقفين من شعراء وعلماء وفقهاء، ونخبة الشرطة والجيش، ونخبة القضاة، ونخبة مستشاري الملوك والسلاطين والأمراء ، ونخبة العمال والولاة...

وقد ارتبطت النخبة ، في العصر الجاهلي، على سبيل المثال، بالإنسان الشاعر الفارس المتخلق الشهم. وبعد ذلك، افترنت النخبة بالإنسان العالم

والمتدين في صدر الإسلام والعهد الأموي.أما في عصرنا هذا، فقد أصبح للنخبة مفهوم يشبه مفهومها في الثقافة الغربية.

وفي هذا السياق، يقول الباحث المغربي المختار بنعبدلاوي:" يختلف مفهوم النخبة بمعانيه المعاصرة كثيرا عن المعاني القريبة التي نجدها في الثقافة العربية التقليدية. يعني مفهوم الملأ تحديدا النخبة القبلية التي تأخذ القرار بناء على معايير متعددة، تتداخل فيها الاعتبارات الأسرية بالموقع الاقتصادي، والاعتبار الاجتماعي، ولايبتعد عنه كثيرا مفهوم الخاصة الذي ساد في العصر العربي الوسيط، فهو يشير إلى شخصيات اعتبارية، ومالية، وفقهية، ...قريبة من موقع القرار، يستشيرها الخليفة أو السلطان أو الأمير بصورة دائمة أو مؤقتة.

من المفاهيم التي يمكن أن تتقاطع مع النخبة في الثقافة الإسلامية مفهوم أهل الحل والعقد ، يتضمن هذا المفهوم الشخصيات التي تحددها النصوص التراثية بصفتها أهل الشورى.ويمكننا أن نعتبر هؤلاء من بين الفئات التي تتقاطع مع مفهوم النخب بصفتهم أهل المعرفة الدينية، والخبرة المهنية، والوجهاء التقليديين الذين يشيرون على السلطان، ويقدمون له النصيحة. بالمقابل غالبا ما يتم تحديد هؤلاء بالانتقاء، كما أن الولاء للسلطان هو السبيل الأوحد أمامهم للإبقاء على وضعيتهم، وهم لا يمثلون إلا الاتجاه الموالي للسلطان، ولايمكنهم بأي حال الدفاع عن أطروحة معارضة.

تقابل مفاهيم الملأ والخاصة مفاهيم العامة أو السوقة، وتشير إلى مختلف الشرائح الاجتماعية الأخرى التي لاتساهم في اتخاذ القرار ، أو لا تستشار فيه بصورة مباشرة أو غير مباشرة."[١٦]

---

[١٦] - المختار بنعبدلاوي: (إنتاج النخب وتدويرها في المغرب)، **نخب مغاربية : الخلفيات، المسارات والتأثير**، أعمال المنتدى المغاربي الثاني، منشورات مدى، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٢م، ص:٩.

ويرى عبد الرحيم العطري، في كتابه (**سوسيولوجيا الأعيان**)، أن العرب"يستعلمون مصطلحات أخرى تدل على نفس المعنى وذلك من قبل الطليعة والملأ والسراة والخاصة والصفوة والأعيان والوجهاء...، فكلها مسميات لمعنى واحد يفيد التميز والاختلاف، عن العامة أو العوام. فالصفوة مثلا تدل على خيار الشيء وخلاصته وما صفا منه، والخاصة تحيل على خلاف العامة، من خصه بالشيء يخصه خصا، واختصه أي أفرده به دون غيره، ونخبة القوم ونخبتهم خيارهم، فالنخبة من نخب الرجل الشيء نخبا وانتخبه أي اختاره وانتقاه وأخذ نخبته."[١٧]

ويعني هذا أن النخبة ، في ثقافتنا العربية الإسلامية، تعني الفئة الخاصة أو الملأ أو أهل الحل والعقد أو فئة الأعيان ومستشاري السلطان أو الأمير. ويمكن الحديث عن فئات أخرى في هذه الثقافة، مثل: الموالي، وأهل الذمة، والعبيد، والجواري، والأرقاء...وهناك حالات استثنائية جعلت بعض أفراد هؤلاء يصلون إلى مواقع السلطة وإصدار القرار.

ولم تعد النخبة ، في ثقافتنا المعاصرة، مرتبطة بحسبها ونسبها وأصلها الديني ومكانتها القبلية أو بخدمتها للسلطان، بل أصبحت النخبة تمارس دورها التأثيري؛ بما تمتلكه من قدرات ومؤهلات معرفية وعلمية وسياسية واقتصادية وعسكرية. ومن ثم، فالنخبة " ليست مجموعة من الفئات التي تسير وفق إرادة أو توجيه السلطان، أو تعمل على وضع قراراته موضع التنفيذ. بل هي عبارة عن أقطاب تنتمي إلى قطاعات متعددة، أو تتمتع بسلطة رمزية موازية، قد تتقاطع مصالحها مع الحكم أحيانا، وقد تتعارض معه في أحيان أخرى، وهي تسعى بذلك إلى حماية وتطوير مصالحها الخاصة التي قد تتأرجح نحو هذا الاتجاه أو ذاك بحسب اعتبارات متعددة.

---

[١٧] - عبد الرحيم العطري: **سوسيولوجيا الأعيان**، دفاتر العلوم الإنسانية، الرباط/القاهرة، الطبعة الثالثة ٢٠١٣م، ص:١٢.

وبشكل عام، نعني بالنخبة، مجموع الفئات الاجتماعية ، المشاركة في السلطة أو القادرة على التأثير في قراراتها التي تستند إلى توسيع نفوذها إلى عوامل اقتصادية أو ثقافية، انطلاقا من مصالح مباشرة أو غير مباشرة. بالإضافة إلى أنها تتمتع بقدرة هائلة على التعبئة وشحذ الرأي العام."[١٨]

ويعني هذا أن النخبة هي فئة من المتميزين اجتماعيا، يتمتعون بمواصفات استثنائية، يملكون قوة القرار وسلطة إدارة المؤسسات الحكومية أو غير الحكومية. ومن ثم، فهناك ثلاث نخب متميزة : النخبة السياسية، والنخبة الاقتصادية، والنخبة العسكرية.

ولم يطرح موضوع النخبة في الساحة الثقافية والاجتماعية والسياسية ، بشكل صريح وواضح، إلا في العقود الأخيرة من القرن العشرين، على أساس أن النخبة تتعارض مع توجهات المجتمعات الديمقراطية التي تؤمن بحكم الشعب لنفسه. في حين، ترفض الحكومات الاشتراكية وجود نخبة، على أساس وجود طبقة بروليتارية تسيطر على الحكم. وفي هذا السياق، يقول الباحث المغربي حسن قرنفل في كتابه (**المجتمع المدني والنخبة السياسية**)**:**"يعتبر موضوع النخبة السياسية من المواضيع التي أصبحت تحظى باهتمام كبير من طرف الباحثين، سواء في السوسيولوجيا أم في العلوم السياسية، مع أن هذا الموضوع ظل مسكوتا عنه لمدة طويلة من طرف الباحثين السوسيولوجيين الأمريكيين لكونه يتعارض مع المبدإ الديمقراطي الذي تقوم عليه المجتمعات الغربية وهو (حكم الشعب من طرف الشعب)، مسكوتا عنه أيضا من طرف الباحثين السوفيات؛ لأن المجتمعات الاشتراكية ، في نظرهم، قائمة على ديكتاتورية البروليتاريا وهي الطبقة التي تمثل مصالح أغلبية السكان.

---

[١٨] - المختار بنعبدلاوي: (إنتاج النخب وتدويرها في المغرب)، ص:١١.

وقد خرق الصمت حول هذا الموضوع رايت ميلز في الولايات المتحدة الأمريكية في كتابه (**النخبة الحاكمة**) ، حيث أكد وجود طبقة حاكمة مستقلة ، وبأن الشعب مبعد عن كل القضايا السياسية والقرارات المهمة؛ وخرق نفس الصمت في المعسكر الاشتراكي الباحث التشيكي ميلوفان دجيلاس في كتاباته حول النخبة الحاكمة في الاتحاد السوفياتي التي أظهر فيها الامتيازات الكبرى التي تحظى بها الأطر العليا للحزب والدولة، الشيء الذي يجعل منها طبقة مستقلة عن باقي الطبقات والفئات الاجتماعية الأخرى.وقد تبنى فيما بعد نفس التحليل الباحث الفرنسي رايمون آرون الذي خصص مجموعة من الدراسات والمقالات لتحليل النخبة السياسية خصوصا في الدول الاشتراكية."[١٩]

وهكذا، نصل إلى أن النخبة هي فئة متميزة من الناس، وصلت إلى مناصب الحكم والقرار بفضل علمها أو نسبها أو حسبها أو ثروتها أو مكانتها في الجيش أو قربها من القصر الحاكم. ولاتقتصر النخبة على مجتمع معين، بل هي ظاهرة كونية وعالمية ، تعرفها جميع الشعوب حتى البدائية منها التي تهيمن عليها نخبة من رؤساء القبائل ومساعديهم، ونخبة الكهنة والسحرة والمشعوذين، ونخبة رجال الدين، ونخبة المصارعين...

[١٩] - حسن قرنفل: **المجتمع المدني والنخبة السياسية إقصاء أم تكامل؟** أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٧م، ص:١٤٧.

المطلب الرابع: مجتمع النخبة في التاريخ المغـربي

عرف المجتمع المغرب، كباقي المجتمعات العربية والغربية، مجموعة من النخب المتميزة اجتماعيا وسياسيا وثقافيا ودينيا ، وخاصة في القرن التاسع عشر الميلادي؛ إذ يمكن الحديث عن مجموعة من الأسس لتشكيل النخبة وهي: الحسب، والنسب، والسمعة، والثروة، والدين، والعلم، والفتوى، والقضاء، والقوة، والسلاح، والزاوية، والحماية ، والولاء للقصر،...

وبناء على ماسبق، فقد ظهرت، في تلك الفترة بالذات، مجموعة من النخب هي: نخبة الشرفاء والأعيان، ونخبة العلماء، ونخبة المحتسبين، ونخبة المحميين من قبل الاستعمار، ونخبة الأولياء والأقطاب والصلحاء، ونخبة الفقهاء والمفتين، ونخبة شيوخ الزوايا، ونخبة قواد الجيش، ونخبة قواد القبائل ، ونخبة الوزراء، ونخبة الكتاب، ونخبة الأمناء، ونخبة كبار المخزن، ونخبة كبار التجار وأرباب الحرف[٢٠]...

وفي هذا الصدد، يقول حسن قرنفل:" ظلت النخبة [المغربية] لعدة قرون تتشكل أساسا من عنصرين أساسيين: المخزن والخاصة.أما المخزن فكان يتكون من السلطان أمير المؤمنين الذي يملك كل الصلاحيات، ومن بعض الوزراء والكتاب يتقدمهم الوزير الأول أو الصدر الأعظم.وكانت هذه الإدارة المصغرة تهتم أساسا بالقضايا الأمنية والدفاعية والعلاقات الخارجية وبعض الأمور التجارية. ولهذا، فإن المخزن كان يتكون من نخبة قليلة العدد، يتم اختيار أعضائها من أسر مخزنية كانت أغلبها، في الأصل، تنتمي إلى قبائل الجيش التي كانت تقيم على مشارف المدن،

---

[٢٠] - سعيد جفري: (النخبة وسؤال الإصلاح في مغرب القرن ١٩م)، **نخب مغاربية : الخلفيات، المسارات والتأثير**، أعمال المنتدى المغاربي الثاني، منشورات مدى ، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٢م، ص:٤٤-٥٦.

وتشكل العناصر الأساسية للجيش الذي يرافق السلطان في حركاته وتنقلاته، ولأن هذه القبائل انتهت بإقامة علاقات وطيدة مع الحكم، فإن عددا من أعضائها أصبح يتقلد مناصب عليا داخل المخزن، وقد انفصلت هذه الأسر فيما بعد عن قبائل الجيش، وأصبحت تقيم في فاس وتطوان وسلا والرباط ومكناس، وقد كادت هذه الأسر أن تشكل طبقة أرستقراطية لاحتكارها مناصب الحكم والمسؤولية لعدة أجيال.

ولم يكن أعضاء المخزن يتمتعون بتعليم كاف ومؤهل لقيادة أمور الدولة، بل غالبا ماكانوا يكتفون ببعض سنوات الدراسة في القرويين أو في بعض الزوايا المنتشرة في مختلف مناطق المغرب.كما لم يكن ولاء هذه الأسر المخزنية للسلطان قارا ونهائيا، فكثيرا ما تورط أعضاء المخزن في علاقات صداقة وطيدة مع القوى الأجنبية، حيث أصبحت الدول الأوروبية، خصوصا خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر تسعى لاستمالتهم من أجل الحصول على الامتيازات التجارية."[٢١]

أما، في فترة الحماية الفرنسية على المغرب، ما بين ١٩١٢و١٩٥٦م، ظهرت نخب أخرى ، فقد اعتمد المستعمر على نخبة المعمرين، والنخبة العسكرية، والنخبة الإدارية المرافقة للمقيم العام.

وقد قرب المستعمر إليه أيضا مجموعة من النخب الموالية، مثل: نخبة اليهود، ونخبة الأعيان المغاربة، والنخبة الأرستقراطية المغربية المتفرنسة، ونخبة القواد والباشوات...

ومن جهة أخرى، فقد كانت هناك نخب وطنية مضادة ومعارضة للمستعمر، مثل: نخبة المقاومين الكبار(محمد بن عبد الكريم الخطابي، ومحمد الشريف أمزيان، وعسو أوبسلام، وموحا أوحمو الزياني، وماء شيخ العينين، ومربيه ربه...)، ونخبة السلفيين المغاربة الذين تخرجوا من

---

[٢١] - حسن قرنفل: **المجتمع المدني والنخبة السياسية إقصاء أم تكامل؟** ص:١٥٥.

جامع القرويين، ونخبة الحركة الوطنية، ونخبة المثقفين والمبدعين، ونخبة جيش التحرير، والنخبة المقربة من القصر...

وفي هذا السياق، يقول حسن قرنفل:" لقد عرفت النخبة السياسية المغربية تراجعا كبيرا خلال فترة الحماية، وهذا راجع أساسا لتهميش إدارة المخزن من طرف الإدارة الفرنسية، وتراجع أدوار الخاصة من علماء وشرفاء وشيوخ زوايا، فعلى الرغم من كون عقد الحماية نص على الاحتفاظ بالمؤسسات المغربية الموجودة، فإن الإدارة الفرنسية في عمليتها التحديثية عمدت إلى التقليص من دور المخزن، بحيث أصبح الوزراء مجرد موظفين يوقعون بين الفينة والأخرى على قرارات الإدارة الفرنسية.أما أعضاء النخبة الآخرين، فقد تراجع دورهم بشكل كبير، بعد إدخال الإصلاحات الحديثة، وتوجه الدولة نحو اقتصاد رأسمالي عقلاني، كما أن البيعة التي كانت تشكل رهانا قويا تلعب فيه الخاصة دورا أساسيا قد فقدت قوتها وأهميتها السابقة، وأصبحت عملية يتم الإعداد لها وتنظيمها بشكل مضبوط.

وأمام تراجع هذه النخبة التقليدية أصبحت تلوح في الأفق ملامح طبقة سياسية جديدة، تتكون من مجموعة من الشباب الذين واصلوا تعليمهم في المدارس الحديثة في فرنسا أو في دول الشرق الأوسط.وقد امتازت هذه النخبة برغبتها في تحديث العمل السياسي في المغرب وعصرنته، وهكذا أخذت تعمل على تكوين الجمعيات والوداديات ثم الأحزاب السياسية فيما بعد، سالكة في ذلك سلوكا عقلانيا عصريا تبدو بصمات الاحتكاك بالوجود الفرنسي في المغرب واضحة عليه.وستشكل هذه النخبة الجديدة أهم عنصر من عناصر المقاومة للوجود الفرنسي، وستكتسب من خلال نضالها في سبيل الاستقلال رأسمالا رمزيا مهما ستعمل على توظيفه وتسخيره والاستفادة منه بكثير من الذكاء في مرحلة مابعد الاستقلال".[٢٢]

---

[٢٢] - حسن قرنفل: نفسه، ص:١٥٩-١٦٠.

وبعد الاستقلال، أمكن الحديث عن نخب تقليدية ونخب معاصرة ، ويعكس هذا التزاوج في النخب الحاكمة أو المهيمنة الطابع المزدوج للمجتمع المغربي ، والذي كان يميل إلى ماهو تقليدي من جهة، وإلى ما هو عصري من جهة أخرى، على جميع الأصعدة والمستويات. وقد كان التأثير الفرنسي على هذه النخب واضحا جدا. وفي هذا الإطار، يقول حسن قرنفل:" حملت فترة مابعد الاستقلال تغييرات جذرية على مستوى النخبة السياسية، سواء من حيث أصولها الاجتماعية ومستوياتها الثقافية، أو من حيث هيكلتها وطريقة اختيارها. فقد خلفت المخزن القديم ابتداء من نهاية ١٩٥٥ حكومة يرأسها وزير أول له صلاحيات محددة ووزراء يهتمون بمجموعة من القطاعات الحيوية كالداخلية والتعليم والمالية والأشغال العمومية والفلاحة والخارجية، حيث عوضت وزارات جديدة المديريات السابقة التي كانت قد وضعتها الحماية الفرنسية.كما أن كل وزارة من الوزارات أصبحت تتشكل من مجموعة من كبار الموظفين كالكاتب العام وأعضاء الديوان، إضافة إلى رؤساء المصالح والأقسام.ولأن اختصاصات كل وزارة أصبحت محددة ومنظمة بدقة، فقد أضحى من الضروري أن يتوفر الموظفون في هذه الوزارات على كفاءات عالية من أجل القيام بمهامهم، الشيء الذي شكل تحديا حقيقيا بالنسبة للدولة المغربية الحديثة.وإذا كانت الدولة لم تعان في أية لحظة من اللحظات من نقص الأشخاص الذين يمكن أن يتقلدوا مهام وزارية، فعلى العكس من ذلك عانت عدة قطاعات من نقص خطير في الأطر الكفأة.إن أغلب الأشخاص الذين تقلدوا مسؤوليات وزارية في الحكومات الأولى لفترة مابعد الاستقلال كانوا ينتمون إما إلى حزب الاستقلال وإما إلى حزب الشورى والاستقلال، كما أن أغلبهم كان حاصلا على تعليم عال، تمت أغلب أطواره في الديار الفرنسية ، في كثير من الحالات.إلا أن هذا لايعني أن كل هؤلاء الوزراء الجدد كانوا مؤهلين للمسؤوليات التي أسندت لهم، فقد كان معظمهم حاصلا على شهادات في الطب والمحاماة ،

ولم يسبق لهم أن مارسوا المسؤولية الإدارية ، إلى درجة أن عدد الأطباء والمحامين الذين كانوا يشغلون مهام عليا في الوزارات والسفارات كاد أن يتجاوز عدد الأطباء والمحامين الذين كانوا يمارسون مهامهم المهنية داخل البلاد.

إن تعيين الكثير من الأشخاص في مناصب وزارية أو مناصب عليا كان بمثابة مكافأة لهم على نضالهم خلال فترة الحماية، أكثر منه اعترافا بمقدرتهم على تسيير الشؤون التي أسندت لهم."[٢٣]

وبناء على ماسبق، يلاحظ أن النخب المغربية التقليدية مازالت تؤدي أدوراها السلطوية المباشرة وغير المباشرة إلى يومنا هذا ، مثل: نخبة الأعيان (أعيان فاس- مثلا-) ، ونخبة العلماء المتميزين، ونخبة الفقهاء الكبار، ونخبة المخزن والعسكر، ونخبة شيوخ الزوايا. وفي الوقت نفسه، تشكلت نخب عصرية جديدة ، مثل: نخبة مستشاري القصر المتنورين، والنخب السياسية التي ارتبطت بالأحزاب السياسية المغربية، إلى جانب النخب النقابية التي تمثل النقابات العمالية والمهنية والقطاعية والطلابية، ونخبة المعارضة ، والنخب التقنوقراطية...

وأصبح الحديث كذلك عن مجموعة من النخب داخل الوظيفة العمومية، كنخبة الوزراء، ونخبة الكتاب العامين، ونخبة أعضاء الدواوين الوزارية، ونخبة المديرين المركزيين والجهويين، ونخبة رؤساء الأقسام والمصالح والمكاتب، ونخبة الولاة والعمال، ونخبة القواد والباشوات، ونخبة البرلمانيين، ونخبة السفراء، ونخبة رؤساء الجامعات، ونخبة عمداء الكليات، ونخبة المثقفين الخبراء والمستشارين والمبدعين...

---

[٢٣] - حسن قرنفل: نفسه، ص:١٦٠-١٦١.

بل يمكن الحديث ، على صعيد الحكم السياسي، عن ثلاث نخب رئيسية في المغرب، بعد سنوات الستين والسبعين من القرن الماضي، هي: النخبة الحاكمة ، والنخبة المعارضة، والنخبة العسكرية.

وعلى المستوى المدني، يمكن الحديث عن نخبة الأعيان، و النخبة المثقفة، والنخبة المقاولاتية، والنخبة النقابية، والنخب السياسية ، سواء أكنت يمينية أم يسارية أم إسلامية أم معتدلة أم غير منحازة (حزب الأحرار)[٢٤]...

ومن أهم المدن التي حظيت بالنخب الحاكمة (نخبة الوزراء- مثلا-) نذكر: فاس، والرباط، ومراكش، وسلا، والدار البيضاء، ووجدة، ومكناس، وآسفي، وطنجة، وتطوان، والجديدة، وتازة، والخميسات، ومولاي إدريس، والناظور...[٢٥]

ويعني هذا ارتفاع نخب المدن الكبرى بنسبة ٧٤.٦%، والمدن المتوسطة بـ١٥%، والبوادي بـ٨.٧%.أي: تنحدر أغلب النخب الحاكمة من المناطق الحضرية والمدن الكبرى مقارنة بالقرى والبوادي.

هذا، وقد عرف المغرب سياسة تنويع النخب، بشكل دوري وتناوبي، مع حكومات التناوب، بهدف تحقيق التوازن المجتمعي، وتثبيت النظام والانسجام، وإرساء الديمقراطية السياسية.

ومن جهة أخرى، يمكن الحديث عن نخب أخرى ظهرت في المغرب، بعد الاستقلال، كالنخب المركزية، والنخب الجهوية، والنخب المحلية. ويمكن الحديث أيضا عن نخب المركز ونخب الهامش، ونخب المدينة ونخب القرية، ونخب الشعب ونخب المخزن [٢٦]، ونخب القصر (النخب

---

[٢٤] - المختار بنعبدلاوي: (إنتاج النخب وتدويرها في المغرب)، ص:٩-٢١.

[٢٥] - حسن قرنفل: نفسه، ص:١٦٢-١٦٣.

[٢٦] - أسامة الزكاري: (النخبة المغربية التقليدية: الأصول والامتدادات خلال مغرب ما قبل الحماية)، **نخب مغاربية : الخلفيات، المسارات والتأثير**، أعمال المنتدى المغاربي الثاني، منشورات مدى ، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٢م، صص:٣٣-٤٢.

المولوية) في مقابل النخب المعارضة أو المنشقة سياسيا. ويمكن كذلك الإشارة إلى نخب اليهود والنصارى والأمازيغ، ونخب المهربين الكبار(تجار المخدرات والعملات الصعبة)[٢٧].

ويلاحظ أن النخبة أو الأنتيليجنسيا المثقفة في المغرب قد تراجع دورها، ولم تعد قادرة على تغيير واقعها، أو توصل كلمتها إلى الآخرين مقارنة بنخب الأعيان، ونخب العسكر، والنخب الحزبية، والنخب النقابية. ويعني هذا تراجع مكانة الطبقة الوسطى التي يمثلها المثقفون ماديا ومعنويا[٢٨] .

وبالتالي، لايمكن للنخب ، في المغرب، أن تؤدي دورها التنويري والإبداعي والتثقيفي والوطني والقومي والتأطيري والتوعوي والقيادي في غياب الديمقراطية الحقيقية القائمة على الكفاءة والعلم والعمل.وفي هذا، يقول محمد غيلاني: " للنخب تقاليدها ومؤسساتها، وهي تشتغل كغيرها من الفضاءات الاجتماعية وفق معايير وضوابط وآفاق تكاد النخب في المغرب تمثل حالات فردية وأنانية: غياب التواصل، وغياب مؤسسات ومراكز البحث والدراسات، وغياب أفق نظري أو مشروع فكري، وغياب الحس النقدي، وضعف الرابطة الاجتماعية والهامشية، والتملص من المشاركة بالرأي في قضايا الشأن العام، بالإضافة إلى هشاشة الحس السياسي والجرأة الفكرية. يمكن تفسير هذه الأعراض من زاوية سوسيولوجية وحضارية ونفسية وسياسية وفكرية، لكن كل هذه التفسيرات هي في المطاف الأخير جملة من المبررات التي تصمد أمام الدور الأخلاقي والرمزي الذي يفترض أن تلعبه النخب.

---

[٢٧] - أمين الكوهن: (تجار السلطان: مسار اغتراب نخب يهودية في مغرب القرن ١٩م)، **نخب مغاربية : الخلفيات، المسارات والتأثير**، أعمال المنتدى المغاربي الثاني، منشورات مدى ، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٢م، صص:٧٩-٩٤.

[٢٨] - عبد الكريم جدي: (تساؤلات حول نهاية دور المقف)، **نخب مغاربية : الخلفيات، المسارات والتأثير**، أعمال المنتدى المغاربي الثاني، منشورات مدى ، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٢م،صص:٩٦-١٠٣.

ويمكن بساطة ساذجة تبرير هذا التواري بهيمنة الاستبداد على الفضاءات الاجتماعية، لكن هناك رابطة وثيقة الصلة بين اتساع منسوب الاستبداد وبين تخلي النخب عن مسؤولياتها، فحين تتنحى النخب عن أدوارها ، فإنها تسمح للاستبداد باستباحة العقل والوعي. وبالمثل عندما تأخذ النخب المبادرة وتتصدى للقضايا التي تهتم بالمجتمع تضيق مساحات الاستبداد. هي - إذاً- هيمنة مقابل هيمنة، ساحتها (هي) المجتمع.ولذلك، فإن التحولات الاجتماعية، لايجوز النظر إليها بوصفها صيرورة مجردة من الفاعلين فيها، بل بوصفها منتوجا تدافع قوى الهيمنة أي بين النخب والسلطة."[٢٩]

وخلاصة القول، مازال المغرب - إلى يومنا هذا - بلدا نخبويا بامتياز، تسيطر عليه النخب التقليدية إلى جانب النخب المعاصرة. لكن بيئة الاستبداد لاتسمح، في الحقيقة، بتكوين نخب سليمة ومبدعة وقادرة على التغيير والتجديد والإبداع. وهذا ما يجعل النخب في المغرب تصرخ وتحتج في البداية، ثم يبح صوتها مع مرور الأيام، ثم تصمت وتخمد بشكل نهائي؛ بسبب سياسات القمع، والتهميش، والإقصاء، والاعتقال، والاغتيال...

وهكذا، يستحيل أن نتحدث عن نخب مغربية مستقلة ومبدعة وقوية ومبادرة، لها كلمتها وسلطتها وصوتها في المجالين السياسي والمجتمعي؛ لغياب الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان الخاصة والعامة؛ وكذلك لتمادي السلطة القمعية في شططها، وعدم اعترافها بإنسانية الإنسان أو العمل على صون كرامته وشرفه وعرضه.

---

[٢٩] - محمد غيلاني: (المغرب والتحولات الاجتماعية في المغرب)، **نخب مغاربية : الخلفيات، المسارات والتأثير**، أعمال المنتدى المغاربي الثاني، منشورات مدى ، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٢م،صص:١١٩-١٢٠.

كما يتنافى تنصيب النخب في سلطة الحكم، بالطريقة المختلة حاليا، مع مقاييس الشفافية، والكفاءة، والعدالة، والمساواة، والإنصاف، ومبادىء الديمقراطية الحقيقية؛ وهذا ما يجعل طيف الديمقراطية، في بلدنا المغرب، مجرد سراب ووهم وخيال لن يتحقق أبدا إلا في مخيلة المحظوظين والمنعمين والمستفيدين من خيرات الوطن ، مادامت ظروف الديمقراطية - إلى يومنا هذا - غير متاحة وغير موجودة وغير مجسدة في حياتنا اليومية.

المطلب الخامس: أنـــواع النخبـــة

يمكن الحديث عن أنواع عدة من النخب، فهناك نخب سياسية، ونخب إدارية، ونخب عسكرية، ونخب اقتصادية، ونخب علمية، ونخب تربوية، ونخب فنية، ونخب دينية، ونخب تجارية، ونخب مقاولاتية، ونخب تقليدية، ونخب مهنية... بمعنى أن في كل مجتمع" توجد فئات متفوقة في مختلف الميادين : الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، وتشكل كل فئة ، في ميدانها، الفئة المتفوقة ، ويستند هذا التفوق إلى عوامل متعددة، قد تكون الثروة، أو السلطة، أو العقل، أو المكانة الاجتماعية، من خلالها تحقق هذه الفئة تفوقا وامتيازا على باقي مكونات ميدانها.

تبعا لذلك، يمكن القول: إن في كل ميدان توجد نخبة ؛ مما يعني أن المجتمع يتألف من نخب عدة، نخبة سياسية، ونخبة عسكرية، ونخبة اقتصادية، ونخبة ثقافية، ونخبة دينية، أو نخبة تمارس سلطة معنوية في المجتمع.ويمكن أن تحتوي النخبة في كل ميدان نخبا فرعية ، على سبيل المثال، في إطار النخبة السياسية، يمكن الحديث عن النخبة الوزارية، والنخبة البرلمانية، والنخبة الديبلوماسية، والنخبة الحزبية."[٣٠]

ويمكن لمجموعة من النخب أن تفرز لنا نخبة قوية تسمى بالنخبة الحاكمة أو الطبقة الحاكمة ، ويعطيها ميلز (Mills) اسم نخبة القوة.

ويميز توم بوتومور بين ثلاث نخب رئيسية هي:

❶ **النخبة الوظيفية** : تتكون من أعضاء لهم وظائف مهنية عالية وراقية وسامية في المجتمع، كأن يكون مدير مؤسسة اقتصادية كبرى، أو رئيس جامعة، أو مسؤول عن منظمة أو مؤسسة وطنية أو دولية معروفة؛

---

[٣٠] - محمد الرضواني: **مدخل إلى علم السياسة**، سلسلة بدائل قانونية وسياسية، رقم ٣، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٤م، ص:٨٧-٨٨.

❷ **الطبقة السياسية:** هي الجماعات التي تمارس السلطة والتأثير السياسي، وتدخل في صراع وتنافس مباشر مع القيادة السياسية؛

❸ **النخبة السياسية:** هي أقلية من الأفراد ينتمون إلى الطبقة السياسية، ويمارسون السلطة في المجتمع[٣١].

ويمكن تصنيف النخب حسب معايير متنوعة على الشكل التالي:

❶ **المعيار القطاعي** : نخبة سياسية، ونخبة عسكرية، ونخبة تقنية، ونخبة مالية... ؛

❷ **المعيار الموضوعاتي:** نخبة الثروة، ونخبة القوة، ونخب المعرفة، ونخب الاستحقاق، ونخب الوراثة، ونخب السلطة؛

❸ **الميعار المكاني**: نخبة مركزية، ونخب جهوية، ونخب محلية، ونخب وطنية، ونخب دولية...[٣٢]

ومن جهة أخرى، لايمكن الحديث عن نخبة واحدة ضمن الطبقة الحاكمة، فثمة نخب متعددة ومتنوعة ومختلفة من حيث المشارب الثقافية، والأوضاع الطبقية والاجتماعية، والأصول العرقية والإثنية. ويعني هذا أن النخب تتعدد بتعدد الخلفيات الاجتماعية والطبقية. و" يجب أن ننظر إلى النخب باعتبارها ترتبط بتوزيع وممارسة القوة والنفوذ في هياكل القيادة[٣٣]."

وإذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية تسيطر عليها ثلاث نخب أساسية هي: النخبة السياسية، والنخبة الاقتصادية، والنخبة العسكرية، فإن الاتحاد

---

[٣١] - انظر: توم بوتومور: **النخبة والمجتمع**، ترجمة: جورج جحا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية سنة ١٩٨٨م.

[٣٢] - طالب بويا ماء العينين: (النخب المغربية بين إخفاقات البروز وآليات البناء)، **نخب مغاربية : الخلفيات، المسارات والتأثير**، أعمال المنتدى المغاربي الثاني، منشورات مدى، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٢م، صص:٥٨-٧٦.

[٣٣] - جون سكوت: **علم الاجتماع : المفاهيم الأساسية**، ص:٣٦٤.

السوفياتي تهيمن عليه نخبة الحزب من جهة، والنخبة التقنوقراطية من جهة أخرى. وينطبق هذا على معظم البلدان الاشتراكية. وإذا أخذنا المغرب نموذجا، فمازالت نخبة الأعيان ونخبة المخزن تسيطران على السلطة والقرار.

و" قد بينت الأبحاث حول النخبة أيضا بأن المجتمعات الإنسانية غالبا ما نتتج ، إضافة إلى النخبة السياسية، نخبا أخرى ذات طبيعة ثقافية أو دينية أو علمية، وبأن هذه النخب تحظى هي أيضا بمواقع متميزة داخل المجتمع، إلا أن هذا لايعني بالضرورة قيامها بأدوار سياسية مهمة ، ولو أنه بإمكانها أن تمارس بعض التأثير في النخبة السياسية في بعض القضايا والمواقف.إن الفرق الأساسي بين النخبة السياسية وباقي النخب يكمن في كون الأولى تتمتع بمجموعة من الصلاحيات تجعلها هي المقررة الأولى للمجتمع، بحيث تختار له توجهاته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والأخلاقية أحيانا، مما يجعل سلطاتها واسعة وتأثيرها لامحدودا، أما النخب الأخرى، فإنها تمارس نفوذها وسلطتها داخل مجالاتها الخاصة، دون أن تستطيع التأثير في التوجهات السياسية بشكل قوي وفعال.كما أن وجود نخبة سياسية قوية قد يكون عنصرا مساعدا على تألق وازدهار النخب الثقافية والفنية والاقتصادية، غير أن الأمور لاتتم دائما بهذا الشكل، فقد حفظ لنا التاريخ مجموعة من الحالات التي تم فيها ازدهار النخب الفنية والثقافية مع وجود نخبة سياسية ضعيفة أو متخاذلة."[٣٤]

وعليه، نجمل النخب المجتمعية في الأنواع التالية: النخبة السياسية، والنخبة الاقتصادية، والنخبة العسكرية، والنخبة المثقفة، والنخبة التقنية، والنخبة الحاكمة، والنخبة العلمية، والنخبة الرياضية، والنخبة الفنية، والنخبة الدينية، والنخبة الحزبية، والنخبة النقابية، والنخبة الإدارية، والنخبة القضائية،والنخبة الجمعوية، والنخبة الإعلامية، والنخبة الموظفة،

---

[٣٤] - حسن قرنفل: نفسه، ص:١٥٤.

والنخبة القائدة، والنخبة المدبرة، والنخبة الصناعية، والنخبة المالية، والنخبة الدبلوماسية، والنخبة الوزارية، والنخبة التربوية، والنخبة الحقوقية، والنخبة الصحفية، والنخبة المالكة، والنخبة البرلمانية،إلخ...

ومن ثم، يمكن القول بأن الولايات المتحدة الأمريكية تهيمن عليها-الآن- ثلاث نخب أساسية هي : نخبة سياسية، ونخبة عسكرية، ونخبة اقتصادية.

المطلب السادس: تصورات نظرية حول النخب

يمكن الحديث عن تصورات نظرية مختلفة حول مفهوم النخبة، يمكن تحديدها على النحو التالي:

الفرع الأول: فيلفريدو باريتو

يعد فيلفريدو باريتو من أهم علماء الاجتماع السياسي الذين اهتموا بدراسة النخبة، في إرتباط وثيق بمسألة اختلال المجتمع وتوازنه، بل يمكن القول: إنه أول من اهتم بمفهوم النخبة في المجالين الاجتماعي والسياسي .وفي هذا الصدد، يقول جون سكوت:" قدم باريتو الكثير من المساهمات الجديرة بالذكر إلى علم الاقتصاد وعلم الاجتماع السياسي.ويعتقد علماء الاقتصاد بأنه ليبرالي كلاسيكي، وله ريادة في تطبيق نظرية الاختيار العقلاني على اقتصاديات الرفاهية.وعلى العكس من ذلك، فعلى الرغم من كونه مؤسس علم الاجتماع السياسي، وبالأخص نظرية النخبة، فقد عرف عنه في هذا المجال، أنه ذلك المتعصب والمناهض للديمقراطية، ويبحث في اللاعقلانية في السياسة. وفي الحقيقة، ظل باريتو إلى حد ما مخلصا لمثله القديمة، ولكنه عزى عدم تحقيقها إلى فشل السياسات الديمقراطية."[٣٥]

ويعطي باريتو للنخبة تعريفين أحدهما واسع، والثاني ضيق. فالنخبة-بالمفهوم الواسع- هي تلك الفئة القليلة من المجتمع التي حققت نجاحا في أنشطتها المهنية والوظيفية، فوصلت إلى أعلى مراتب الهرم المجتمعي، مثل: رجل الأعمال الناجح، والمجرم الذكي، والصانع الماهر، والأستاذ البارع، والفنان المشهور... ويعني هذا أن هذه النخب غير حاكمة. أما بالمفهوم الضيق، فالنخبة هي تلك الفئة أو الأقلية الحاكمة التي تملك

---

[٣٥] - جون سكوت: **خمسون عالما اجتماعيا أساسيا**، ترجمة: رشا جمال، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية سنة ٢٠١٣م، ص:٥٩.

السلطة والنفوذ والقرار ، وتمارس تأثيرها في باقي الطبقات الاجتماعية الأخرى، قصد إقناعها بتوجهاتها السياسية والإيديولوجية. وقد تتكون هذه النخب من الوزراء، وأمناء الأحزاب، والمعارضين السياسيين، والمسؤولين النقابيين، وكبار العسكر، ورجال المقاولات الصناعية النافذين...

وعليه، فالنخبة هي تلك الفئة أو الأقلية التي تمتلك صفات استثنائية، وتتمتع بقدرات وكفاءات طبيعية أو مكتسبة هائلة جدا في بعض المجالات أو في بعض الأنشطة من أنشطة الحياة الاجتماعية. وفي هذا، يقول باريتو:" لنفرض نعطي لكل فرد، في جميع حقول النشاط الإنساني، علامة تدل على مهاراته بالطريقة نفسها تقريبا التي تعطي فيها علامات في الامتحانات. وعلى سبيل المثال، نعطي من يبرز في مهنته عشرة.ونعطي من لاينجح في الحصول على زبون واحد علامة واحدة، بشكل نستطيع معه إعطاء صفر لمن يكون غبيا حقا. ونعطي عشرة لمن عرف أن يربح الملايين، سواء كان جديا أم سيئا.ومن يربح ألوف الليرات نعطيه ست علامات.ومن يتوصل إلى عدم الموت جوعا فقط نعطيه علامة واحدة.ومن يعالج في مأوى المعوزين نعطيه صفرا...وهكذا دواليك بالنسبة لجميع حقول النشاط الإنساني....ولننشىء - إذاً- طبقة من هؤلاء الذين ينالون أعلى العلامات في الحقل الذي يبذلون فيه نشاطهم، ولنعط لهذه الطبقة اسم النخبة".[٣٦]

ومن هنا، يميز باريتو بين الطبقة الشعبية العامة والنخبة الخاصة، إذ تنجذب العامة ، على المستوى النفسي، إلى الأفكار غير المنطقية وغير العقلانية؛ وهذا ما يجعل النخبة المتميزة بالدهاء والقوة والإيديولوجيا قادرة على استغلالهم للفوز بالسلطة السياسية، والظفر بها. وبعد ذلك،

---

[36] - Vilfredo Pareto **: Traité de sociologie générale** ,1919,p :1296 et suivant.

يميز باريتو بين النخبة الحاكمة وغير الحاكمة . وفي هذا، يقول:" بالنسبة للدراسة التي نقوم بها ، وهي دراسة التوازن الاجتماعي، من المستحسن أيضا تقسيم هذه الطبقة إلى اثنتين.نضع على حدة هؤلاء الذين يمثلون، مباشرة أو غير مباشرة، دورا بارزا في الحكومة؛ فهم يشكلون النخبة الحكومية .والباقون يشكلون النخبة غير الحكومية...وتكون لدينا - إذاً- فئتان من السكان، الأولى: وهي الفئة الدنيا، أو الطبقة الغريبة عن النخبة، ولن نبحث حاليا التأثير الذي يمكن أن تمارسه في الحكومة؛ الثانية : وهي الفئة العليا، أو النخبة التي تقسم إلى قسمين: أ- النخبة الحكومية؛ب- النخبة غير الحكومية.[٣٧]"

ويعني هذا أن المجتمع ينقسم إلى فئتين كبيرتين: الفئة الدنيا من الجماهير الشعبية وهي فئة لاتحكم؛ والفئة العليا التي تشكل ما يسمى بالنخبة. وهي قسمان: نخبة حاكمة ونخبة غير حاكمة. ويشير مصطلح النخبة الحاكمة أو الحكومية إلى ما يسميه رايت ميلز (Wright Mills)[٣٨] بنخبة السلطة، وموسكا (Mosca) بالنخبة السياسية.

وعليه، فقد رفض باريتو التصورات الماركسية التي لاتؤمن بوجود النخب السياسية أو الاقتصادية، بل تعطي الأهمية القصوى للطبقة الدنيا ، وتعتبرها هي الأحق بامتلاك السلطة، بعد القضاء على الطبقة البورجوازية، والاستيلاء على وسائل الإنتاج. في حين، يرى باريتو أن النخبة هي البديل الحقيقي لضمان استقرار المجتمع، وتحقيق توازنه المؤسساتي والاجتماعي والاقتصادي والنفسي. فالعامة من الناس مندفعة وجدانيا ، تؤمن بالافكار الوهمية غير الحقيقية. في حين، تتميز النخبة بقدرات ومؤهلات فائقة يسمح لها بالسيطرة على الحكم، وقيادة المجتمع.

---

37 - Vilfredo Pareto : OP.cit,p :1304.

38 - C.Wright Mills **: L'élite du Pouvoir**, Éditions Agone, coll. « L'ordre des choses », 2012.

وبهذا، تكون النخبة هي البديل الحقيقي للأنظمة الماركسية أو الاشتراكية. وبالتالي، آمن باريتو بتداول النخبة على السلطة تحقيقا لمجتمع الديمقراطية ، ورغبة في تحقيق تماسك المجتمع وتضامنه وتوازنه. ومن ثم، حلت النخبة محل الصراع الطبقي، وحلت كلمة الجماهير محل البروليتاريا.

وعلى العموم ، لايمكن الحديث - إطلاقا- عن أي نظام سياسي بدون الحديث عن القوة والسيطرة والاستغلال، حتى في الأنظمة الاشتراكية والشيوعية نفسها. لذا، نجد نخبا مستغلة في كل الأنظمة السياسية والاقتصادية والعسكرية، تعمل جاهدة على تحقيق مصالحها ومنافعها الخاصة، إلى جانب تحقيق المصالح العامة. ومن ثم، ترتبط الملكية الخاصة بالقوة والنفوذ والسيطرة والهيمنة. كما يتحقق ذلك للنخبة المنتقاة سياسيا أو اقتصاديا أو إداريا أو ثقافيا أو دينيا . ومن هنا، تبقى المفاهيم الاشتراكية ، مثل: الإرادة العامة، والصالح العام، والسيادة الشعبية مفاهيم عاطفية وطوباوية وخيالية أكثر من كونها مفاهيم عقلانية وواقعية ومنطقية.

وقد قسم باريتو النخب السياسية - على غرار تقسيم مكيافيلي- إلى نخبة الثعالب ونخبة الأسود.فالنخبة الأولى تتكون من فئة الشيوخ، وقد استولت على الحكم بالدهاء والحيلة والخديعة. وتتكون النخبة الثانية من فئة الشباب التي تنتمي إلى الطبقة الدنيا من عموم المجتمع. وتدخل النخبتان معا في صراع وضغط ، فالتي تنتصر تستولي على الحكم، وبعد فشلها واضمحلالها تستولي النخبة المعارضة على الحكم بشكل تناوبي دوري.وبهذا، تتحقق الديمقراطية، ويتحقق التوازن الاجتماعي، وتحافظ الدولة على هيبتها واستمرارها وقوتها. وغالبا، ما تقوم الحروب والأزمات الاقتصادية في تغيير النخب بشكل تناوبي ، بعد اشتداد الصراع والجدل السياسي بين نخبة الأسود ونخبة الثعالب. وهذا

مايوضحه جون سكوت(John Scott) بهذه القولة: "وهذان الاثنان من النخب السياسية استطاعا الحصول على السلطة عن طريق الاستفادة من دعم ائتلاف من مجموعات اجتماعية واقتصادية غير متجانسة تتمتع بصفات متوازية ومرتبطة بمضاربين وأصحاب الدخل. وأكد باريتو بأنه كان هناك تداول دوري بين النخبة تتناسب مع الدورات الاجتماعية والاقتصادية.وبالتالي، يتودد الثعالب إلى المضاربين إما ضمنيا، أو بمساعدتهم بشكل إيجابي في سلب ذوي الدخل بجعلهم مدخرين من صغار البرجوازية أو من المساهمين الأساسيين. ومن حيث المبدأ، يشكك الرخاء بالأخلاق المتوارثة وازدهار المستهلك.ومع ذلك يمكن أن يقع كل من الحكومة والشعب في ربقة الديون بسبب الإفراط في الاستهلاك اعتمادا على الديون. في حين، إن ندرة رأس المال ونقص الاستثمارات المنتجة يمكن أن يؤديا إلى حدوث حالة انكماش اقتصادي.ومن المفترض أن تكون الحاجة إلى ضبط النفس والتوفير أمرا جليا، وأن تحتل حكومة الأسود الصدارة بدعم من ذوي أصحاب الدخل.وعلى الرغم من ذلك، ففي النهاية سيبدأ الاقتصاد الدخول في حالة ركود، ومن ثم سيسأم الناس من نظام الأسود، وما يمهد إلى بروز الثعالب والمضاربين مرة أخرى، وتبدأ حينها دورة جديدة."[٣٩]

ومن جهة أخرى، يقسم باريتو النخب ضمن مقترب نفسي أو سيكولوجي ، وأيضا في ضوء مفهوم الرواسب " التي تتمثل في العواطف والحالات العقلية المتصلة بالغرائز البشرية، لتفسير سيطرة نخبة واختفاء أخرى وظهور نخبة أخرى.وقسمها إلى مجموعتين:

المجموعة الأولى: تضم رواسب تعكس الميل إلى التأمل والتفكير.

المجموعة الثانية: تضم رواسب تعكس الميل إلى البقاء والاستقرار وتعزيز المراكز التي يتم الوصول إليها.

---

[٣٩] - جون سكوت: **علم الاجتماع المفاهيم الأساسية**، ص:٦٢-٦٣.

ويؤثر توزيع الرواسب تأثيرا كبيرا في المجتمع، فقد تسود لدى الأفراد رواسب النوع الأول، ويشكلون بذلك أهل المكر والذكاء الذين يحكمون عن طريق الرضا العام والمساومة والحلول التوفيقية واختراع الإيديولوجيات.

وقد تسود لدى الآخرين رواسب النوع الثاني، فيشكلون بذلك أهل القوة والمواجهة الفورية للأزمات، ويلجأون إلى استخدام وسائل العنف لمواجهة المعارضة، وفرض النظام العام . والمثل الأعلى بالنسبة لباريتو هو توفر النوعين من الرواسب لدى نخبة معينة.

وقد اعتمد هذا المفهوم أيضا لتصنيف النظم السياسية، وذهب إلى تصنيفها إلى نظم تحكمها نخب تسود عندها رواسب النوع الأول، ونظم تسود عندها رواسب النوع الثاني."[٤٠]

وعليه، يؤكد باريتو وجود تطابق بين النخبة الاقتصادية والسياسية داخل أي مجتمع، ولكن يرفض أن تكون السيطرة السياسية نتاجا للسيطرة الاقتصادية، بل تعود إلى خصائص النخبة وعواطفها ومؤهلاتها . ومن ثم، فتاريخ الدول والحكومات هو تاريخ النخبة والصفوة التي تتناوب بشكل دوري.أي: إن الحكومة " طبقة من الخاصة أو الصفوة ، وليس التاريخ في نهاية الأمر سوى دورة الصفوة.وهو هنا يحاول دحض تلك الفكرة الماركسية الذاهبة إلى أن استيلاء الجماهير على الحكم عن طريق الثورة سوف يسهم في وضع حد للاستغلال والصراع الطبقي والاقتصادي؛ فباريتو يؤمن إيمانا كاملا باللامساواة الاجتماعية، ويرى أنه لن يكون هناك نظام تتحقق في ظله المساواة الكاملة بين الناس، لأنهم بطبيعتهم غير متساوين.وهذا يتفق مع رأيه الذاهب إلى أن الديمقراطية

---

[٤٠] - محمد الرضواني: **مدخل إلى علم السياسة**، ص:٩٣-٩٤.

هراء وفكرتها عواء أذاعه الضعفاء. وهكذا لم يكن غريبا أن يعد باريتو ماركس البرجوازية وابن الفاشية كما وصفه كتاب الغرب."[٤١]

ولايعني هذا كله أن الصفوة أو الطبقة التي يدافع عنها باريتو هي الطبقة العمالية، بل هي النخبة البورجوازية القادرة على تحقيق توازن المجتمع وتماسكه ورفاهيته بطريقة تناوبية دورية. وفي هذا، تقول الباحثة الجزائرية وسيلة خزار:" وتنتمي الصفوة ، بالضرورة، إلى الطبقة البورجوازية؛ لأنها هي الطبقة الوحيدة المتوازنة بطبيعتها، أي التي تحتفظ بأكبر قدر من الالتزام الخلقي ومراعة السلوك، بمعنى أن باريتو قد حكم على الطبقة الدنيا في المجتمع بأن تظل دنيا دائما، وبأن كل مجتمع لابد أن تكون فيه صفوة حاكمة تضمن توازنه، ولذلك فليس ثمة مكان لجماهير الشعب في الحكم.

ولكن الصفوة الأرستقراطية لاتستمر في الحكم طويلا، لأن كل صفوة في حاجة إلى تقوية ذاتها في مواجهة الطبقات الدنيا المتطلعة إلى التسلط.ويذهب باريتو إلى أن **الصفوة قابلة للانحلال**.ويظهر ذلك الانحلال في شكل نمو الاتجاهات الإنسانية بشكل مرضي، في الوقت الذي تظهر صفوة جديدة، وتكون في أقصى درجات القوة والحيوية.مؤكدا أن أية صفوة لاتستخدم العنف والقسوة في سبيل الدفاع عن نفسها وحكمها، تعرض نفسها للانهيار السريع، بحيث لاتملك في النهاية سوى إفساح المجال لصفوة أخرى."[٤٢]

وعليه، يرى باريتو أن المجتمع يتكون من طبقتين : طبقة دنيا محرومة ومستغلة ومهيمنة عليها، وهي الطبقة الكادحة، وطبقة عليا هي النخبة أو

---

[٤١] - نبيل السمالوطي: **الإيديولوجيا وأزمة علم الاجتماع المعاصر: دراسة تحليلية للمشكلات النظرية والمنهجية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٩٧٥م، ص:١٧٣.

[٤٢] - وسيلة خزار: **الإيدولوجيا وعلم الاجتماع، جدلية الانفصال والاتصال**، منتدى المعارف، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٣م، ص:١٤٩-١٥٠.

الصفوة التي تسيطر على مقاليد الحكم ودواليب الدولة. وتنقسم بدورها إلى قسمين : نخبة حاكمة (**l'élite gouvernementale**) ونخبة غير حاكمة (**l'élite non-gouvernementale**). ومن هنا، فالنخبة هي التي تملك القوة، والمال، والنفوذ، والذكاء بمفهومه الواسع، والمؤهلات العلمية والثقافية، والكياسة، وحسن التصرف...

ومن هنا، يتحدد المجتمع بطبيعة نخبتها السياسية الحاكمة. ومن ثم، فالنخبة هي التي تسير الطبقة الدنيا إما بالقوة ، وإما بالحيلة والدهاء. ويعني هذا أن ثمة نخبتين: نخبة الأسود، ونخبة الثعالب. وتخضع النخبة لمنطق التناوب الدوري.

وإذا كان كارل ماركس يؤمن بالصراع الطبقي والاجتماعي بين البروليتاريين والبورجوازيين، فهناك داخل المجتمع الاشتراكي صراع طبقي واجتماعي بين المثقفين وغير المثقفين، بين الفلاحين والعمال.أما على صعيد النخبة، فيمكن الحديث - حسب باريتو- عن صراع بين النخبة الحاكمة وغير الحاكمة، بين نخبة المحافظين ونخبة المجددين، والنخبة الحاكمة والنخبة الدنيا إلخ...وهذا الصراع يكون من أجل الحياة والعيش والبقاء، وتحقيق المصالح والمنافع ، سواء أكانت خاصة أم عامة.

أضف إلى ذلك أن النخب الثورية التي تقود الثورة ضد النخب القديمة، مدعية أنها على حق وصواب، وأنها تبحث عن سعادة الشعب ورفاهيته، سرعان ما تفشل في تحقيق العدالة والإنصاف والمساواة والحرية، فتؤدي بنخبتها الأرستقراطية إلى المقبرة. ومن هنا، فالتاريخ الحقيقي عند باريتو هو تاريخ موت النخب الحاكمة والأرستقراطيات وولادتها من جديد. لذا، قال باريتو قولته المشهورة " التاريخ مقبرة الأرستقراطيات(***L'histoire est un cimetière d'aristocraties***). ويعني هذا أن تاريخ المجتمعات هو تاريخ تعاقب النخب والأقليات واصطفائها ؛ تلك النخب التي تتصارع مع النخب المضادة والمعارضة . وعندما تصل إلى الحكم،

تشرع في تحقيق مصالحها، ثم تسقط لتحل محلها نخب أخرى، وهكذا دواليك... و" من هذا المنطلق، فإن باريتو ينتقد احتكار السلطة من طرف نخبة أرستقراطية قائمة على عنصري: الولادة والثروة، وليس على عنصري الذكاء والقوة.وبالتالي، فهي لاتسمح بالتحاق أفراد جدد بها من خارج بنيتها، وهو ما يؤدي إلى اندلاع الثورة ضدها (١٧٨٩م).ولهذا كتب باريتو قائلا:" التاريخ مقبرة الأرستقراطيات"."[٤٣]

ويقرر باريتو أن أي مجتمع لايؤمن بالتغيير أو الحركية الاجتماعية وتناوب النخب وتداولها على السلطة سيكون مصيره الانهيار والموت والفناء.ومن جهة أخرى، لاحظ باريتو أن الخبة قد تضم أفرادا لايستحقون أن ينتموا إليها. ويوجد كذلك في الطبقات الدنيا أفراد يستحقون أن ينتموا إلى النخبة. وهكذا، تدخل النخبة الحاكمة (الشيوخ الثعالب) في صراع مع نخبة شباب الأسود التي تنتمي إلى الطبقة الدنيا، فيحدث صراع القوى والضغوط، يكون الهدف منه هو سحق النخبة المنافسة. وعندما تنتصر نخبة الأسود- مثلا- .تسيطر على الحكم. وعندما تفشل تتولى النخبة المقابلة ، وهكذا دواليك...

وإذا كانت النخبة الحاكة قوية جدا، فمن الأفضل لها أن تدمج، ضمن حركية التغيير الاجتماعي، أسود الطبقة الدنيا من أجل الحفاظ على الاستقرار والتوازن الاجتماعي، كما تحقق ذلك بنجاح في المؤسسات البريطانية.

وهكذا، يمكن القول بأن تناوب النخب السياسية ودورانها حول السلطة والحكم من أهم عوامل تحقيق التوازن الاجتماعي وانسجامه، ومن أهم مظاهر دمقرطة المجتمع وتحريكه بشكل إيجابي. وفي هذا، يقول موريس دوفرجيه:" تعتبر فكرة دوران النخب النقطة المركزية في نظرية النخب.وبما أن الانتماء إلى النخبة قائم على الصفات الفردية، فهو ليس

[٤٣] - عبد الرحمن شحشي: (النخبة مقاربة في المفهوم)، ص:٢٧.

وراثيا من الناحية المبدئية، باعتبار أن الأولاد لاتكون لديهم بالضرورة صفات أهلهم. يتم - إذاً - استبدال مستمر للنخب القديمة بالنخب الجديدة التي تأتي من الفئات الدنيا من السكان. يقول باريتو:" إن ذلك هو دوران الأفراد بين مجموعتين، والنخبة وسائر السكان."

وهو يعتبر أنه" يتم تعهد الطبقة الحاكمة ، ليس فقط في العدد، ولكن، وهذا ماهو أهم، بالنوعية، بواسطة العائلات التي تأتي من الطبقات الدنيا.وهكذا، تضعف بقايا الطبقة الثانية رويدا رويدا في الفئة العليا إلى أن تأتي موجة صاعدة من الفئة الدنيا لتعزيزها من وقت لآخر."

إن الدوران الفردي للنخب هو عامل أساسي في التوازن الاجتماعي.وإذا لم يحصل ذلك بصورة منتظمة وكافية، يعمل المجتمع بشكل شيء وتنمو فيه حالة ثورية، ستستبدل الدوران الفردي بالدوران الجماعي للنخب." إن تأخرا بسيطا في هذه الدورة يمكن أن يؤدي إلى زيادة مهمة في عدد العناصر المنحطة التي تحتويها الطبقات التي ماتزال تملك السلطة، ومن جهة أخرى إلى زيادة عدد العناصر ذات الصفة العالية التي تحتويها الطبقات الخاضعة.وفي هذه الحال، يصبح التوازن الاجتماعي غير مستقر وأقل صدمة...تدمره.ويأتي اجتياح أو تأتي ثورة لتقلب كل شيء، فتحمل إلى السلطة نخبة جديدة ، وتقيم توازنا جديدا."[٤٤]

وقد أجريت دراسات عدة حول دوران النخب في كثير من البلدان من أجل التثبت من صحة نظرية باريتو." فمنذ عام ١٩١٢م درست إحدى تلميذات باريتو ماري كولابنسكا(marie Kolabinska) دوران النخب في المجتمع الفرنسي قبل عام١٧٨٩، لكن عملها يفتقد إلى الدقة. وفي فترة أقرب إلينا، تضاعفت الأبحاث حول الحركية الاجتماعية، إلا أنها لا تؤكد بشكل صارخ نظريات دوران النخب.وقد بين وليام ميلر

---

[٤٤] - موريس دوفرجيه: **علم اجتماع السياسة**، ترجمة: سليم حداد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ٢٠٠١م ، ص:١٦٣.

(W.Miller) أن المؤرخين الأمريكيين ضخموا نسبة رجال الأعمال الكبار المنحدرين من الفئات الدنيا للسكان.

وأثبت رايت ميلز (C.Wright Mills) أن الوضع لم يتغير بصورة محسوسة في الحقبة التالية، فهو يرى ، في عام ١٩٥٠، أن ٥٧%من كبار أصحاب العمل في الولايات المتحدة كانوا أبناء لرجال أعمال، مقابل ١٤% هم أبناء لأشخاص يتعاطون المهن الحرة، و١٥%هم أبناء مزرارعين.وتبين في بريطانيا أن ٥٠ إلى ٦٠% من مدراء المشاريع العامة لهم روابط عائلية مع أوساط الأعمال.كما تبين، في هذا البلد نفسه، أن نطاق التوظيف للفئات العليا من الموظفين توسع قليلا بين عامي١٩٢٩و١٩٥٠، ولكنه ضيق الانفتاح أمام العمال المؤهلين أو نصف المؤهلين الذي يمثلون ٣٠% من السكان.وعلى عكس ذلك، فهو يتضمن ٣٠% من أبناء مالكي الأراضي وأعضاء المهن الحرة الذين لايسكلون سوى ٣% من السكان."[٤٥]

ويضيف موريس دوفرجيه :" وتبين الدراسات المقارنة التي قام بها س.م.ميلر (S.M.Miller) عام ١٩٦٠ في أربعة عشر بلدا أن الحركية الاجتماعية شديدة بصورة عامة بين الفئات الدنيا والمتوسطة، وبالتحديد بين المهن اليدوية والمهن غير اليدوية (موظفون، إلخ). يتم ذلك في الاتجاهين، مع حالات تفاوت كبيرة، فعلى سبيل المثال، في فرنسا ثمة حركية صاعدة قوية وحركية تنازلية ضعيفة بالنسبة للولايات المتحدة.والحركية أضعف بكثير بين الطبقات الوسطى والنخبة بالمعنى الذي يقصده باريتو، مع فوارق محسوسة حسب البلدان (فهي ضعيفة في فرنسا، على سبيل المثال).وأخيرا، لانجد في أي من البلدان الأربعة عشر التي أجريت عليها الدراسة، حركة ملموسة للفئات اليدوية من السكان

[٤٥] - موريس دوفرجيه: **علم اجتماع السياسة**، ص:١٦٤-١٦٥.

باتجاه الفئات العليا.فالأبحاث السوسيولوجية لاتدعم - إذاً - نظرية دوران النخب، إلا بصورة ضعيفة جدا."[٤٦]

ومن هنا، يتبين لنا أن نظرية دوران النخب عند باريتو قد يصعب تحقيقها أو الأخذ بها إلى حد كبير؛ لأن نخبة الطبقات الدنيا يصعب عليها أن تصل إلى مقاليد الحكم ، ويسهل عليها بسرعة أن تنزل منها؛ لأن الصعود إلى مرتبة النخبة يحتاج إلى مجهود كبير ومشقة عويصة. في حين، يصل إليها المحظوظون اقتصاديا ووراثيا بسهولة . وفي هذا، يقول موريس دوفرجيه:" إن الأفراد الموهوبين بشكل خاص من الطبقات الدنيا. يمكن الخروج منها لقاء جهد كبير جدا، لكنهم لايستطيعون الصعود عاليا جدا في السلم الاجتماعي، فالصعود نحو القمة يحتاج بصورة عامة إلى عدة أجيال ، ويبقى استثنائيا إلى حد كبير، والهبوط من الطبقات العليا نحو الطبقات الدنيا ليس مستحيلا هو كذلك، لكنه كذلك أكثر ندرة وأكثر حصرا.يمكننا أن نجد بعض آثار قانون الأجيال الثلاثة الذي لمح إليه ابن خلدون، يرتفع إنسان بقوة قبضته؛ فيستفيد ابنه من الوضع دون تحسينه أبدا؛ أما حفيده الذي تربى في حال من اليسر، فيعود ليهبط درجات السلم.إن تاريخ بعض السلالات الصناعية أو التجارية يقترب من هذه الصورة، فضلا عن ذلك يكون السقوط أكثر بطئا ويبقى محدودا بصورة عامة."[٤٧]

وهكذا، يتبين لنا أن باريتو قد ساهم بنظريته حول النخب في تطوير العمل السياسي، والتفكير في حركية المجتمعات ، والبحث عن آليات تحقيق توازن المجتمعات وانتظامها، بالتشديد على دوران النخب وتناوبها حول السلطة .

---

[٤٦] - موريس دوفرجيه: نفسه، ص:١٦٥.

[٤٧] - موريس دوفرجيه: نفسه، ص:١٦٥.

وإذا كان باريتو وموسكا ورايت يقولون بوحدة النخبة، فإن روبير دال ورايمون آرون يقولان بتعدد النخب.بمعنى أن المجتمع يتكون من عدد كبير من النخب المختلفة والمتنوعة والمندمجة والمتنافسة أحيانا أو المتضامنة أحيانا[٤٨]. في حين، يقول الماركسيون الجدد (بولانتزاس - مثلا-) بوجود طبقة اقتصادية هي التي تحكم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، مادام الاقتصاد يتحكم في السياسة.ويعني هذا أن نخبة الظل أو النخبة الاقتصادية هي التي تستحوذ على مراكز الهيمنة والقرار، وهي التي تسير باقي النخب الأخرى، على الرغم من تعددها واختلاف سحناتها وقسماتها السياسية والاجتماعية.

الفرع الثاني: رايــت ميلــز

يعد شارل رايت ميلز (C. Wright Mills) (١٩١٦-١٩٦٢م) من أهم السوسيولوجيين الأمريكيين، ومن أهم المنظرين للنخبة في ضوء المقترب المؤسساتي، إذ كرس اهتماماته كلها لدراسة النخبة في الولايات المتحدة الأمريكية. وطور نظرياته السياسية والاجتماعية حول النخبة في كتابيه: (**نخبة السلطة**)[٤٩] سنة ١٩٥٦م، و(**الطوق الأبيض**) سنة ١٩٥١م. ومن ثم، فهو ينتمي إلى المدرسة السوسيولوجية النقدية المعارضة لمدرسة تالكوت برسونز (Talcott Parsons)

ويعرف ميلز النخبة انطلاقا من مبدإ السلطة وامتلاك القرار. وفي هذا، يقول:" يمكننا أن نعرف نخبة السلطة استنادا إلى وسائل القوة، تماما كما هو الأمر، بالنسبة لمن يحتلون مراكز القيادة."[٥٠]

---

[٤٨] - عبد الرحمن شحشي: نفسه، ص:٢٩.

[49]- Wright Mills : **The Power Elite (L'Élite du pouvoir).** Traduction en français chez Agone en 2012 sous le titre L'élite au pouvoir.1956.

[٥٠] - توم بوتمور: نفسه، ص:٣٣.

ويعني هذا أن النخبة لا تتميز بالعلامات الجيدة كما عند باريتو، بل تتميز كذلك بمدى امتلاكها للقوة والسلطة والنفوذ، وحقها في استصدار القرار.

إذا كانت الإيديولوجيا الأمريكية تعزف على إيقاع المجتمع المنفتح. في المقابل، يرى وايلز أن هناك انغلاقا على مستوى النخب مقارنة بباقي الطبقات الاجتماعية الأخرى. لذا، تحدث وايلز عن ثلاث نخب مهيمنة في الولايات المتحدة الأمريكية هي: النخبة السياسية، والنخبة الاقتصادية، والنخبة العسكرية.

وتعرف النخبة عند ويلز بأنها مجموعة من الأفراد الذين يمتلكون السلطة، ومشروعية إصدار القرارات، ويحتلون أعلى المناصب في المؤسسات السياسية، والعسكرية، والاقتصادية. ويعني هذا أن النخبة مقتصرة على ثلاثة مجالات مهمة هي: السياسية، والاقتصاد، والعسكرية. ومن ثم، فالنخبة هي التي تتحكم في حياة العامة بقرراتها السياسية والاقتصادية والعسكرية. علاوة على ذلك، تشكل النخبة السياسية والنخبة الاقتصادية والنخبة العسكرية مثلث السلطة عند وايلز. وتتميز السلطة عند ويلز بطابعها المؤسساتي.وهنا، نتحدث عن سلطة الاقتصاد، وسلطة السياسية، وسلطة العسكرية. وينتج عن تحصيل السلطة المؤسساتية امتلاك الثروة، والمجد، والشهرة، والقوة . ومن يفقد وضعيته ومكانته المحظوظة داخل مؤسسة ما، يفقد سلطته المؤسساتية. وهناك عوامل تساهم في خلق نخب متشابهة ومتماثلة تملك السلطة، وهي عوامل نفسية واجتماعية ومؤسساتية (الأصول نفسها، الطبقة الاجتماعية نفسها، البيئة نفسها،المدارس والمعاهد الخصوصية نفسها، و العلاقات المؤسساتية نفسها).

وعليه، يثبت رايت ميلز أن النخبة الأمريكية، " إن بدت متعددة من الخارج إلا أنها مندمجة ومتراصة من الداخل بسبب ترابط مصالحها؛ وعلى الرغم من تعدد النخب الأمريكية ، وتوزعها بين الجيش والسلطة

السياسية والأعمال، فإن خلفيتها واحدة، لأنها تنحدر من الفئات الاجتماعية نفسها، و لها المصالح نفسها."[٥١]

ومن جهة أخرى، يتحدث ميلز عن خمس مراحل لتشكل النخبة في الولايات المتحدة الأمريكية :

❶ من الثورة إلى تأسيس الدولة : يتم الحديث عن النخبة المدمجة؛

❷من بداية القرن التاسع عشر (عهد جيفرسون ولينكولن): يتم الحديث عن النخبة المختلطة أو النخبة غير المركزية؛

❸ من ١٨٨٦/١٨٦٦ حتى نهاية ١٩٢٠: يتم الحديث عن هيمنة الاقتصاد أو النخبة الاقتصادية؛

❹ فترة الخطة الجديدة أو فترة الأزمة الاقتصادية العالمية لسنوات الثلاثين، وتولية روزفلت سدة الحكم: يتم الحديث عن عقد السياسية أو النخبة السياسية؛

❺ من فترة الحرب العالمية الثانية إلى يومنا هذا: تصاعد السلطة العسكرية، وتشكيل نخبة مغلقة، تتكون من ثلاثة مجالات: الاقتصاد، والجيش، والسياسة. ويعني هذا وجود ثلاث نخب: عسكرية، وسياسية، واقتصادية.

وبناء على ما سبق، يتضح لنا أن رايت ميلز يتبنى المقترب المؤسساتي في تحليل النخب ودراستها.بمعنى أن هذا المقترب يركز على الخصال والقدرات المؤسساتية التي تمتاز بها النخب.أي: تتكون النخب في ضوء مؤسسات لها أدوار ووظائف معينة. وبالتالي، ترتبط كل نخبة بمؤسسة معينة، كالمؤسسة السياسية، والمؤسسة الاقتصادية، والمؤسسة العسكرية.

---

[٥١] - المختار بنعبدلاوي: نفسه، ص:١٢-١٣.

وبتعبير آخر، لاتكتسب النخب قوتها بالرواسب السيكولوجية، ولابالوجاهة الاجتماعية، ولابتدبيرها التنظيمي، بل بقوتها المؤسساتية. وفي هذا المقام، يمكن الحديث عن أنواع عدة من القوة، فهناك القوة السيكولوجية، والقوة الاجتماعية، والقوة الاقتصادية، والقوة العسكرية، والقوة السياسية، والقوة الإدارية، والقوة التنظيمية، والقوة المؤسساتية...

الفرع الثالث: غايتانـــو موسـكا

يعد غايتانو موسكا (**Gaetano Mosca**) (١٨٥٨-١٩٤١م) من أهم المفكرين الإيطاليين الذين اهتموا بدراسة النخبة ، ولاسيما النخبة السياسية. وقد عرف بكتاباته في العلوم السياسية ونظرياتها. وألف كتبا عدة في هذا المجال، منها:(**نظريات الحكومات والحكومات البرلمانية**) سنة ١٨٨٤م، و(**عناصر العلوم السياسية**) سنة ١٨٩٦م، و(**تاريخ النظريات السياسية**) سنة ١٩٣٦م.

ومن جهة أخرى، فقد تأثر موسكا كثيرا بفيلفريدو باريتو وبالكتابات الماركسية. وقد طور موسكا نظرية النخبة والطبقة السياسية. ونجد أفكاره مبثوثة في كتابات كل من:روبرت ميشيلز (Robert Michels)، وجوزيف شومبتر(Joseph Schumpeter)، وسيمور مارتان ليبسيت(Seymour Martin Lipset)، ورايت ميلز (C. Wright Mills)...

وإذا كان باريتو يتحدث عن النخب في ضوء المقترب النفسي، فإن موسكا يتحدث عنها في ضوء المقترب التنظيمي. ويعني هذا " أن صغر حجم الصفوة، ووضوح وسائل الاتصال المتوفرة لديها، وسهولة تدفق المعلومات بين أعضائها يمنحها هذه القدرة التنظيمية العالية، لذلك تستطيع وضع السياسات، واتخاذ القرارات بسرعة، والاستجابة الفورية للظروف المتغيرة، والظهور بمظهر التضامن الكامل في أقوالها وأفعالها،

أما الأغلبية ، فهي غير منظمة ، وتضم أفرادا ليس لديهم هدف مشترك، أو نظام اتصال معروف أو سياسات متفق عليها.ويطلق على الفئة مصطلح النخبة الحاكمة."[٥٢]

يلاحظ موسكا أن النخب" تحكم مجتمعاتها، على الرغم من كونها أقلية، لأنها أفضل تنظيما من الأغلبية، وكذلك لأنها تستند إلى إيديولوجية تدعم مشروعيتها.ويمثل هذان العاملان مؤشرا حاسما على كفاءة وفعالية أية نخبة. إن أية مجموعة عسكرية أو رياضية أو فنية، لايمكن أن تحصل على نتائج مقبولة إذا لم يكن هناك انسجام وتعاون بينها، كما أن المبدأ أو القيم المشتركة هي ما يوفر الحافز للمجموعة.إن الحوافز المادية قد تجمع مجموعة ما لمرحلة عابرة؛ لكن الاستدامة لاتتحقق إلا إذا استطاعت هذه المجموعة أن ترسي قيما مشتركة تمنحها اعتبارا معنويا."[٥٣]

لقد اهتم موسكا بتطوير مجموعة من النظريات السياسية .ومن ثم، يقرر أن المجتمعات تسيطر عليها فئة أو طبقة أو أقلية تسمى بالنخبة السياسية أو الطبقة السياسية (la classe politique). ومن ثم، فهدف غايتانو هو صياغة نظرية كونية أو عالمية حول المجتمع السياسي، بالتركيز خصوصا على النخبة السياسية.

هذا، وتعرف النخبة عند موسكا بتلك الفئة التي تتميز بحصولها على أعلى مكانة في هرم السلطة أو التنظيم، وتتمتع بقدرات كفائية هائلة تسمح لها بالحصول على السلطة في المجتمع البيروقراطي المعاصر. وتتميز نظرية النخبة عند موسكا بأنها أكثر ديمقراطية من باريتو، على أساس أن النخبة ليست وراثية كما يقول باريتو ، بل يمكن لأي فرد تتوفر فيه القدرات الكفائية المتميزة والاستثنائية أن يصل إلى السلطة. وهذا ما يؤكده أيضا

---

[٥٢] - محمد الرضواني: نفسه، ص:٩٤-٩٥.

[٥٣] - المختار بنعبدلاوي: (إنتاج النخب وتدويرها في المغرب)، ص:١٢.

باريتو الذي يقول بتداول السلطة بين النخب المتنافسة، وخاصة نخبة الأسود ونخبة الثعالب.

وعليه، فقد اعتبر موسكا أن" من بين الحقائق والميول الدائمة التي يمكن أن توجد في كل بنية سياسية ، ظاهرة بينة إلى درجة أنها واضحة لأقل العيون تدقيقا.وهي أن في كل المجتمعات...تنشأ طبقتان من الناس؛ طبقة حاكمة وطبقة محكومة، فالطبقة الحاكمة هي دائما أقل هاتين الطبقتين عددا، وهي التي تقوم بكل الوظائف السياسية وتحتكر السلطة، كما تتمتع بالفوائد التي تكون حصيلة تلك السلطة. بينما الثانية ، وهي الأكثر عددا، تسيرها الطبقة الأولى ، وتدير شؤونها بطريقة توصف حينا بالشرعية، وحينا آخر باللاشرعية، حين تفرط في استعمال القوة والضعف والقهر والإقصاء عبر الضغط والتزوير."[٥٤]

هذا، وقد ميز موسكا بين المجتمعات الجامدة والمجتمعات المتحركة.فالمجتمعات الأولى لاتتناوب فيها النخب أو يتم فيها الدوران بطريقة سيئة. بينما المجتمعات الثانية تعرف تناوبا جيدا للنخب، وخاصة في المجتمعات الديمقراطية الحديثة.وفي هذا، يقول موسكا:"بقيت صفوف الطبقات الحاكمة مفتوحة، والحواجز التي تمنع أفراد الطبقات الدنيا من الدخول إليها تم إلغاؤها أو خفضت على الأقل، وسمح تحويل الدولة الاستبدادية القديمة إلى دول تمثيلية حديثة، لجميع القوى السياسية تقريبا، ولجميع القيم الاجتماعية تقريبا، بالمشاركة في الإدارة السياسية للمجتمع[٥٥]."

ويرى موريس دوفرجيه أنه داخل النخبة نفسها نجد صراعا طبقيا أو تفاوتا اجتماعيا أو كفائيا. ومن ثم، " تعبر صيغ موسكا هذه تعبيرا دقيقا عن الصورة التي تصنعها لنفسها المجتمعات الغربية، وتضعها في

---

[٥٤] - توم بوتومور: نفسه، ص:٨.

[55] - Gaetano Mosca**:Elémenti di scienzia politica**,t.2,1923,p.211.

مواجهة المفاهيم الماركسية عن الطبقات الاجتماعية.ولاينكر منظرو دوران النخب أن واقعة الولادة في النخبة- سواء تعلق الأمر بالنخبة الحكومية ، أو النخبة الاقتصادية، أو بالنخبة الثقافية - يشكل ميزة أولية، تجعل من الأسهل على الذين يستفيدون منها، جعل أنفسهم جزءا من النخبة.لكنهم يزعمون أن هذه الميزة الأولية لاتصمد نهائيا أمام المنافسة الفردية التي تلفظ من النخبة أولئك الذين ولدوا فيها، ولكنهم لايملكون الصفات الضرورية للبقاء فيها، والتي تدفع إلى النخبة هؤلاء الذين لم يولدوا فيها ، ولكنهم يمتلكون الصفات الضرورية للدخول إليها. فهم لاينكرون وجود التفاوت الجماعي الوراثي، أي وجود الطبقات.لكنهم يقدرون أن هذه الأخيرة تبقى ثانوية لأنها لاتكبح إلا قليلا، دوران النخب الذي يبقى الظاهرة المهيمنة بالنسبة لهم."[٥٦]

وقد تعرض موسكا لانتقادات مثل باريتو على أساس أنه" قدم مفهوما مطاطا للنخبة، إلى الدرجة التي جعلت البعض يشير إلى أن مفهومه ينسحب فقط على الطبقة الوسطى أو أصحاب الممتلكات أو المثقفين.لكنه مع ذلك يظل من أبرز المؤسسين للنقاش السسويولوجي حول دروان النخب."[٥٧]

لكن موسكا يكفيه فخرا أنه أول من أقام تمييزا بين النخبة والجماهير، فالأولى هي فئة قليلة العدد تسيطر على زمام الحكم والقرار، وتسود الطبقة الثانية. في حين، تتميز فئة الجماهير بكثرة أفرادها، وعدم تنظيمها. وبالتالي، فهي فئة محكومة عليها من قبل الفئة الأولى التي تمتلك القوة والسلطة والنفوذ.

---

[٥٦] - موريس دوفرجيه: نفسه، ص:١٦٤.

[٥٧] - عبد الرحيم العطري: نفسه، ص:١٦.

الفرع الرابع: روبرت ميتشيلز

يعد روبرت ميتشيلز (Robert Michels) (١٨٧٦-١٩٣٦م)من أهم أعضاء مدرسة النخبة الإيطالية إلى جانب باريتو وغاييتانو موسكا. وهو سوسيولوجي من أصل ألماني، درس بإنجلترا، وفرنسا، وألمانيا.

انصب اهتمام روبرت ميتشيلز على سلوكيات النخبة المثقفة، في ضوء مفاهيم مدرسة النخبة الإيطالية. ويعرف بكتابه حول(**الأحزاب السياسية**)[٥٨] الذي صدر سنة ١٩١١م، ويتضمن فكرته المحورية حول القانون الحديدي للأوليغارشية. و" مفاده أن القائد الذي يحصل على السلطة السياسية ، ويعتاد على ممارستها، يصعب عليه التخلي عنها، فيستخدم بذلك السلطة من أجل البقاء والاستمرار فيها."[٥٩]

وقد تأثر ميشيلز كثيرا بأفكار مدرسة النخبة الإيطالية من جهة، وبأفكار ماكس فيبر من جهة أخرى.

هذا، ويرى روبرت ميتشيل" أن قاعدة دكتاتورية النخب تشمل البنيات الصغرى، ولاتقتصر على التجمعات الكبيرة. إن الأقلية هي التي تتولى القيادة حتى في الكيانات الحزبية لأنها الأفضل تنظيما. ولعل هذا يجعلنا نتساءل إلى أية درجة يمكن أن يتواءم الدور الريادي الذي تقوم به النخب مع الديمقراطية؟ وإلى أية درجة يتطابق تعريف الديمقراطية بوصفها حكم الشعب نفسه بنفسه، مع التأثير الكبير الذي تمارسه النخبة بصفتها أقلية؟"[٦٠]

---

[58] - Robert Michels **: Les partis politiques; essai sur les tendances oligarchiques des démocraties**; traduit par S. Jankélévitch, Published [c1914] Topics Political parties, Democracy.

[٥٩] - محمد الرضواني: نفسه، ص:٩٥.

[٦٠] - المختار بنعبدلاوي: نفسه، ص:١٣.

هذا، وقد ركز ميشيلز على الأحزاب الاشتراكية في أوروبا بدراستها وتقويمها ، وخاصة الحزب الاشتراكي الألماني الذي كان يرفع شعارات براقة على مستوى التنظيم الداخلي، مثل: العدالة، والمساواة، والديمقراطية. ومن ثم، فقد توصل ميشيلز إلى أن المنظمة خاضعة لنخبة القيادة التي تملك مجموعة من المزايا التي تسمو بقوتها، ولكن يتعذر محاسبتها ومراقبتها من قبل أنصارها. ومن ثم، تنحصر قيادة الحزب في بعض عناصره السياسية والبيروقراطية التي تمتلك قدرات على مستوى التخطيط والقيادة والتدبير والإشراف والتوجيه والتأطير. وفيما يخص الأحزاب الاشتراكية، فتتضمن نخبة تتفق مع بعض المبادىء التي تناضل من أجلها البروليتاريا. وفي الوقت نفسه، تعيش حياة البورجوازية، حيث تستفيد من امتيازات الحزب وثرواته وممتلكاته، وتنفصل بهذا الموقف البورجوازي عن الأغلبية الكادحة. وبهذا، يتحول الحزب من منظمة بروليتارية ديمقراطية مفتوحة إلى كيان تنظيمي مغلق. " كما أكد على أن القانون الحديد للأوليغارشية قانون عام، لايسري على الأحزاب فقط، بل يهم كل المنظمات بما فيها الدولة ، لذلك الديمقراطية مستحيلة، إذ داخل كل نظام ديمقراطي، توجد أوليغارشية."[٦١]

وبهذا، يكون روبرت ميتشلز أشد السوسيولوجيين انتقادا للنخب الموجودة في الأحزاب الاشتراكية بصفة خاصة.

الفرع الخامس: تـــوم بوتمـــور

يعد الإنجليزي توماس بورتون بوتومور(Thomas Burton Bottomore) (١٩٢٠-١٩٩٢م) من أهم السوسيولوجيين الماركسيين. ويعرف أيضا بتوم بوتمور(Tom Bottomore). وقد ألف مجموعة من الكتب، أهمها: (**الطبقات في المجتمع المعاصر**)، و(**كارل ماركس**)،

---

[٦١] - محمد الرضواني: نفسه، ص:٩٦.

و(السوسيولوجيا نقد اجتماعي)، و(علم الاجتماع والاشتراكية)، و(نظريات الرأسمالية المعاصرة)، و(النخبة والمجتمع)[٦٢]**...**

ويعد كتاب (**النخبة والمجتمع**) لبتومور من أهم الكتب التي تعرضت لمفهوم النخبة بالتاريخ، والدراسة، والتحليل، والتقويم، حيث يستعرض فيه صاحبه تاريخ المصطلح ودلالاته المعجمية والاصطلاحية، ويستكشف تاريخ النخب في الثقافة الغربية، مع استجلاء مختلف النظريات التي قيلت حول النخبة ، بالتوقف عند باريتو، وموسكا، وميلز، وماكس فيبر، وكارل مانهايم، ورايمون آرون...

ومن جهة أخرى، يهتم بوتومور بتحديد أدوار النخبة البنيوية والوظيفية، وتبيان دلالاتها السياسية والاجتماعية، في علاقة وثيقة ووطيدة بالطبقات الاجتماعية وبنياتها. وكان ميدان الدراسة هو الدول المتقدمة والصناعية. وبعد ذلك، استعرض بوتومور مختلف الانتقادات الموجهة إلى النخبة من قبل المفكرين الديمقراطيين والاشتراكيين .

وقد وجد بوتمور صعوبة في تعريف النخبة، متسائلا هل هي: طبقة أو فئة أو أقلية؟ وهل نحن أمام نخبة واحدة أم نخب متعددة؟ وكيف يمكن الانتقال من اللانخبة إلى النخبة؟ وما التأثيرات التي تمارسها النخبة في باقي الطبقات الاجتماعية الأخرى؟

ومن هنا، فقد وضع بوتومر هرما افتراضيا لتوزيع النخب، فقد وضع في أعلى الهرم النخبة السياسية، وفي القاعدة وضع النخبة الاجتماعية، وفي الوسط، توجد ظلال هاتين النخبتين: السياسية والاجتماعية.

---

[62]-Tom Bottomore **: Elites and Society** (London: Watts, 1964; Harmondsworth: Penguin, 1966; Harmondsworth: Penguin. 1967; New York: Penguin, 1970)

الفرع السادس: أورس ياجـــي

يعد أورس ياجي (Urs Jaeggi) من أهم الباحثيين السويسريين الذين درسوا مفهوم النخبة، بالتوقف عند ثلاث تصنيفات ومعايير أساسية هي:

❶ **المنظرون الذين يحددون النخبة على أساس القوة أو السلطة**، على أساس أن المجتمعات الإنسانية تعرف مجموعة من الصراعات والتطاحنات حول السلطة. ومن يفز في تلك الصراعات، يظفر بالسلطة، ويشكل ما يسمى بالنخبة الحاكمة. وهنا، يمكن التمثيل بالنظريات المكيافيلية الجديدة (روبيرت ميشيلز على سبيل المثال) ، ونظرية الباحث الأمريكي رايت ميلز. ويعني هذا أن النظرية تقسم المجتمع إلى نخبة حاكمة، وهي قليلة العدد، وعامة المجتمع المحكومة من قبل النخبة، سواء أكانت نخبة سياسية أم عسكرية أم اقتصادية.

❷ **المنظرون الذين يحددون النخبة على أساس القيم**. وتتخذ هذه النظرية طابعا فلسفيا وأخلاقيا. إذ تنظر إلى النخبة من خلال أحكام الواقع وأحكام القيمة.أي: بالتركيز على المزايا والصفات التي تسمح لصاحبها بممارسة الحكم أو السلطة. ومن أمثلة هذا التصور النظرية الأفلاطونية والأرسطية، ثم النظريات المحافظة التي ظهرت مع الثورة الفرنسية كما عند تين (Taine) وريـنان (Renan) ، ثم تصورات كارل مانهايم ...(K.Manheim)

❸ **المنظرون الذي يحددون مختلف النخب على أساس وظائفها وأدوارها.** وتعد المدرسة الإيطالية خير من يمثل هذه النظرية، كما يبدو ذلك جليا عند باريتو وموسكا. ومن ثم، يثبت هذان السوسيولوجيان أن الأوليغارشية هي التي تهيمن على الحكم في جميع المجتمعات.بمعنى أن النخبة هي التي تصدر القرار، وتملك السلطة السياسية، وتتولى الحكم. في حين، تكون الجماهير تابعة لتلك النخبة . بل حتى الأنظمة الديمقراطية

التي يحكم فيها الشعب تقر بوجود نخب تمثيلية تتولى الحكم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. ويعني هذا اعتراف صريح أو ضمني بأهمية النخبة داخل الدولة، ومدى قدرتها على تسيير دواليب الحكومة على جميع الأصعدة والمستويات، وإدارة شؤونها بطريقة فعالة وجيدة ووظيفية. وفي هذا الصدد، يقول حسن قرنفل:" أما النظرية الأخيرة التي يتحدث عنها أورس ياجي، فهي **النظرية الوظيفية** التي ترى أنه كي يتمكن فاعل اجتماعي معين من أن يلعب دورا داخل النخبة ، أي ينتمي إليها، لابد أن يوجد في الوضعية المؤسساتية الملائمة، وأن يتوفر على الخصائص والمقدرات الضرورية.ومن هنا، يتضح أن الأمر لايتعلق بالنخبة السياسية فقط، بل بمجموع النخب الموجودة داخل المجتمع. فالانتماء إلى نخبة معينة مشروط بالانتماء إلى الحقل العام الذي توجد فيه النخبة (بمعنى أنه لايمكن مثلا، أن ينتمي شخص بعيد عن مجال الفكر والثقافة إلى النخبة الفكرية). وتبعا لهذا التحليل، فإن النخبة السياسية تعتبر بمثابة نخبة إلى جانب النخب الأخرى تقوم بوظيفة الوساطة بين السلطات العليا ومجموع الشعب.وهذا يظهر - إذاً- أن العمل السياسي هو مجرد وظيفة عادية إلى جانب باقي الوظائف الممارسة داخل المجتمع. وباختصار، فإن أصحاب هذه النظرية يميلون إلى القول بأن المكانة التي أصبحت تحظى بها النخبة السياسية داخل المجتمع راجع للحجم الكبير الذي أصبح للبيروقراطية داخل المجتمعات الحديثة. فكما أن الماركسيين كانوا يرون بأن المجتمع الصناعي المتشكل في أغلبيته من الطبقة العاملة يقتضي أن يسلم الحكم لهذه الطبقة، وهذا تبرير لمقولة ديكتاتورية البروليتاريا، فإن سيادة البيروقراطية وازدياد حجم الموظفين داخل المجتمعات الحديثة يقتضي أن يمارس الحكم من طرف النخبة البيروقراطية."[٦٣]

---

[٦٣] - حسن قرنفل: نفسه، ص:١٥١-١٥٢.

وعلى العموم، يلاحظ أن هذا التصنيف غير دقيق، وأكثر شكلية، وغير قادر على استيعاب تعدد نظريات النخب وتعقدها ، وما أثير حولها من نقاش وجدال محتدمين.

وخلاصة القول، يمكن الحديث عن مجموعة من المناهج والمقاربات الدراسية في تحليل النخبة وفهمها وتفسيرها، ويمكن حصر هذه المناهج في منهج المكانة والموقع، ومنهج السمعة، ومنهج صنع القرار،والمنهج السلوكي. ويمكن تحديدها كذلك في المنهج النفسي، أوالمنهج التنظيمي، أو المنهج المؤسساتي، أو المنهج الوظيفي، أوالمنهج الأكسيولوجي (القيمي)، أو المنهج السلطوي...

المطلب السابع: أدوار النخبة ووظائفـــها

للنخبة أدوار عدة في مجالات مختلفة ومتنوعة: سياسية، واجتماعية، واقتصادية، وإدارية ، وثقافية، وعسكرية... فهي التي تقود المجتمع سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وثقافيا ، وتشرف على إدارته وتدبيره وفق ترسانة من القوانين الشرعية الوطنية والدولية. كما أن وجود النخبة في مقاليد الحكم والسلطة لدليل على ديمقراطية الدولة أو النظام السياسي.علاوة على ذلك، تساهم النخبة في تحقيق النظام الاجتماعي، وممارسة القهر والضبط لتفادي حالات الفوضى في البلاد. كما للنخبة فضل كبير في الحفاظ على توازن المجتمع وانسجامه الوظيفي، مع التحكم، بشكل جيد، في إدارة الصراع الدائر بين القوى المعارضة والنخب السياسية المتنافسة.

هذا، و" ترى النظريات المحافظة أن الأكثر قدرة ليسوا هم الأقوى أو الأذكى أو الأشجع أو الأكثر حيلة ودهاء. وإنما هم الأفضل.وهناك أكثر من فرق بين المفهومين.فالأول يرتكز فقط على الفعالية المادية. في حين، يتضمن الثاني أيضا تقديرا معنويا وحكما قيميا.وتنطلق النظريات المحافظة من فكرة أن الناس سيئون بالطبيعة ، وأنهم يتحركون بفعل غرائز دنيئة، ويسعون للعودة لحالة الوحشية البدائية. إلا أن بعض الأفراد المتمتعين بقوة أخلاقية كبيرة يتمكنون من التغلب على هذه الميول الغريزية. ويشكل هؤلاء ما يسمى بالنخبة. لقد بنيت الحضارة بأسرها بفضل هذه النخبة، على الرغم من معارضة وحسد الجماهير الغوغائية.وما كان لهذه الحضارة أن تبقى لولا أسلوب القهر والضبط الذي مارسته النخبة أو الصفوة تجاه الجماهير. فبدون هذا القهر كان مقدرا للمجتمعات أن تقع في الفوضى وتعود لحالة الوحشية.[٦٤]"

---

[٦٤] - محمد فايز عبد أسعيد: **الأسس النظرية لعلم الاجتماع السياسي**، دار الطليعة ، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٩٨٨م، ص:١٥٨.

ويعني هذا أن النخبة أفضل من الجماهير الغوغائية العاطفية ؛ لأن النخبة طبقة مثقفة ومتنورة ومتخلقة ومتعلمة، لاتعنى بمصالحها الشخصية، بل يكون هدفها هو تحقيق المصلحة العامة. و" ما الصراع السياسي هنا سوى صراع الجماهير التي لاتقبل بهذا القهر والضبط ضد النخبة التي تمارس هذا النوع السلطوي لفائدة المجتمع بأسره، وضمن سياق هذا الصراع، لاتتحرك النخبة، بشكل أساسي، بفعل مصالح الأنانية.صحيح أنه ليس هناك إنسان كامل، وأنه لايمكن تماما عدم الاهتمام بالمزايا التي توفرها السلطة من نفوذ وثروة، لكن النخبة تتحرك أكثر بفضل حاسة الخدمة: فهي تعي أن واجبها الاجتماعي يكمن في العمل للمصلحة الجماعية.ويعتقد المحافظون أن البواعث الاقتصادية البحتة والأنانية هي بواعث فظة، وأن الحضارة تميل لأن تحل محلها أسباب أخرى للعمل أكثر رقيا وذات طبيعة غيرية يشعر أفراد النخبة بحساسية خاصة تجاهها.وتقوم التربية والتقاليد بدور هام في هذا المجال، حيث تساهم في تقوية حاسة الخدمة لديهم.

وهكذا، فإن المذاهب المحافظة ترى أن التمييز بين النخبة والجماهير لايقوم فقط على المقدرات الفردية الفطرية، وأن للتقويم الاجتماعي أيضا دوره في تنمية الغرائز الجيدة، وإيقاف الغرائز السيئة. ولهذا، تتشكل النخبة من الأفراد الذين ينجحون أكثر من غيرهم، وبفضل التربية ، في التغلب على الأنانية والوحشية الفطرية، ليصبحوا ، بالتالي، متحضرين بشكل حقيقي.وبما أن التربية بشكل أساسي، تقوم على عوامل بيولوجية أقل مما هي اجتماعية."[٦٥]

ومن هنا، تعد النخبة علامة مميزة لديمقراطية المجتمع الليبرالي الذي يؤمن بتنافس الأفراد، وأحقيتهم في الوصول إلى الحكم حسب استحقاقهم وكفاءتهم المادية والمعنوية. وفي هذا، يقول موريس دوفرجيه (Maurice

[٦٥] - محمد فايز عبد أسعيد: **الأسس النظرية لعلم الاجتماع السياسي**، ص:١٥٨-١٥٩.

Duverger) :" وضعت نظريات النخب ودوران النخب من قبل منظرين ليبراليين لمواجهة المفهوم الماركسي عن الطبقات.وهم يهدفون إلى إظهار أن المجتمعات الرأسمالية لاتعرف طبقات حقيقية تتسم بالديمومة أو الوراثية، وإنما تفرعات يتم الدخول إليها أو الخروج منها بسهولة نسبية.ترتبط الطبقات بجمود المجتمعات الزراعية التي تعكس اقتصادا ثابتا أو شبه ثابت.أما المجتمعات الصناعية القائمة على التنافس والمزاحمة والتجديد والتغيير، فتكون عرضة لحركية كبيرة جدا.فالأفراد العاملون والأذكياء والمهرة والخلاقون الذين يشكلون النخب يمكنهم الارتفاع في درجات السلم الاجتماعي، حتى ولو كانوا يحتلون فيه مكانة متدينة جدا في بدء حياتهم.وعلى العكس، فإن الذين يستفيدون من وضع رفيع منذ ولادتهم يخاطرون باستمرار في الهبوط في حالة الخمول أو البلاهة أو الرعونة أو الترهل."[٦٦]

وعليه، فللنخب أدوار ووظائف مهمة داخل النسق المجتمعي والحكومي، منها الأدوار والوظائف الإدارية، والوظائف السياسية، والوظائف الاقتصادية، والوظائف الاجتماعية، والوظائف الدينية، والوظائف التنويرية، والوظائف التوعوية والتأطيرية.

وبتعبير آخر، تقوم النخبة بتأطير المواطنين سياسيا ونقابيا وتوعيتهم إديولوجيا، بشرح برامجها السياسية والحزبية والنقابية ، واستعراض تطلعاتها المستقبلية من أجل التأثير في الجماهير . وعندما تظفر النخبة السياسية بالسلطة ، تقوم بأدوارها الإدارية الرئيسية كالتخطيط، والتدبير، وتوزيع المسؤوليات والمهام، وتنظيم المرافق العمومية. علاوة على أدوار إدارية أخرى، مثل: الإشراف، والتوجيه، والتقويم، والمتابعة، والمواكبة ، وتصحيح الأخطاء وإصلاحها وتجاوزها.

---

[٦٦] - موريس دوفرجيه: نفسه، ص:١٦١-١٦٢.

ومن الناحية السياسية، تستجلي توجهاتها السياسية المحلية والجهوية والوطنية والدولية بشكل عملي وواقعي. ثم تحضر أمام نواب الأمة ، في أثناء الجلسات البرلمانية، لمساءلتها واستنطاقها وتقويمها ومحاسبتها أو إسقاطها.

وعلى الصعيد الاقتصادي، تبحث النخبة عن الحلول الناجعة لإدارة المؤسسات الاقتصادية، والبحث عن أحسن السبل لتشجيع الإنتاج الوطني، وتحفيز الشباب على الإبداع والابتكار والتطوير والمنافسة، والبحث عن الأسواق الداخلية والخارجية للرفع من الصادرات، والتخفيض من الواردات، وجلب الاستثمارات بغية الرفع من الدخل الفردي، وتنمية المجتمع ماديا ومعنويا.

وعليه، لايمكن الاستغناء عن النخبة ، مهما كانت طبيعتها، نظرا لما تقوم به من أدوار سياسية، واقتصادية، واجتماعية، وثقافية ...بل يمكن اعتبارها العمود الفقري للمجتمع، وهي أساس الدولة المتمدنة والمتحضرة والسائرة في النمو، إذا أختيرت هذه النخب على أسس العلم، والكفاءة، والاستحقاق، والذكاء، لا على أسس النسب، والحسب، والولاء، والثروة، والقوة...

المطلب الثامن: نقـــد وتقويـــم

هناك مجموعة من الانتقادات الموجهة إلى فكرة النخبة ، منها أن النظرية الماركسية لاتؤمن بالنخب، مهما كانت طبيعتها أو نوعها، فالنخبة الحاكمة هي بمثابة فئة بورجوازية أو أقلية من النبلاء أو الأرستقراطيين الذين يسيطرون على موارد الدولة، وخيرات البلاد، وثروات الوطن، ويستغلون الشعب والطبقات الكادحة. في حين، ترفض الماركسية مجتمع الطبقات والفئات والنخب.وبالتالي، تتطلع إلى مجتمع بدون طبقات.أي: مجتمع شيوعي بدون ملكية خاصة، تنعدم فيه الفوارق الفردية والامتيازات الاجتماعية والاقتصادية، وتشيع فيه الأموال والنساء والممتلكات. وغالبا، ما تعرف المجتمعات الرأسمالية والليبرالية، ذات الطابع الفردي، بأنها مجتمعات النخبة والطبقات الاجتماعية المتعددة التي تعرف تطاحنات وصراعات طبقية واجتماعية حادة. وهذا ما تقول به النظرية الماركسية. لذلك، فهي تتطلع دائما إلى مجتمع أو دولة بدون نخب حاكمة أو غير حاكمة.

يبقى هذا الانتقاد مشروعا ووجيها إلى حد ما، إذا نظرنا إلى النخبة من زاوية المنظر المتطلع إلى العدالة والمساواة والديمقراطية المجتمعية الحقيقية. بيد أن المجتمعات الاشتراكية نفسها تعرف نخبا داخل الحزب الواحد. فهناك فئة الحزب السياسي الحاكم في مقابل الطبقات البروليتارية الكادحة التي تعاني من الفقر والخصاصة وشضف العيش، ولادور لها في إدارة الحكم أو إصدار القرارات السياسية. ومن ثم، فنخبة الحزب السياسي هي التي تستفيد من مكاسب الدولة وخيراتها المادية والمالية والمعنوية، على أساس أن هذه الطائفة هي التي تخطط، وتدبر، وتشرف، وتوجه، وتقوم. ولايمكن أن تخضع نخبة الحزب للمساءلة أو النقد أو المقاضاة، فهي فوق الحساب والتقويم والمتابعة المالية.

ويمكن الإشارة كذلك إلى أن ثمة نخب ، داخل المجتمع الاشتراكي، تتصارع بحدة، كنخبة العمال، ونخبة النقابيين، ونخبة الفلاحين. بل هناك نخبة متميزة داخل هذا المجتمع نفسه ، وهي نخبة التقنوقراطيين من مهندسين وأطر تقنية عليا. ويعني هذا أن النظرية الماركسية تتناقض مع نفسها، فواقعها طبقي ونخبوي وفئوي. في حين، تسبح النظرية في تجريد خيالي وطوباوي غير واقعي.

وإذا انطلقنا من المنظور الديمقراطي الليبرالي ، فالديمقراطية تعني حكم الشعب لنفسه بنفسه. ويعني هذا أن عامة الناس هم نخبة المجتمع ، وهم السلطة العليا ، يؤسسونها عن طريق الانتخابات والاقتراعات المباشرة وغير المباشرة. لكن لايمكن للشعب أو عامة الناس، وفق المبدإ الديمقراطي، أن يكونوا قادرين على تسيير المجتمع وإدارته وفق آليات تنظيمية علمية، فالشعب لايملك القدرات التي تخوله تدبير إدارة الدولة، وتسييرها بطريقة عقلانية منظمة.

إذاً، لابد من وجود نخب متفوقة وكفأة ومتميزة لإدارة الدولة سياسيا، واقتصاديا، واجتماعيا، وإداريا. ولابد من انتخابها وانتقائها واصطفائها في ضوء معايير محددة بدقة، مثل: العلم، والذكاء، والشهادة، والتقنية، والدبلوم، والكفاءة، والقدرات الذاتية، والمهارات المتميزة الخاصة، والعبقرية، والنجاح في العمل...مع إبعاد معايير أخرى لاعلاقة لها بتنخيب الفئات وانتقائها واصطفائها، مثل: الحسب، والنسب، والثروة، والولاء، والزاوية، والدين، والقوة...فهذه المعايير ، في الحقيقة، لاتقدم لنا نخبا معاصرة ناجحة بامتياز، بل تقدم لنا نخبا تقليدية محافظة، تحول دون تقدم الدولة وتطورها وتنميتها.

وعليه، فالنخبة ضرورية لبناء الدولة الديمقراطية الحديثة ، والسير بها نحو آفاق التقدم والتجديد والتطوير، وكذلك من أجل خلق تعايش طبقي، والحفاظ على السلم الاجتماعي، وتحقيق التوازن المجتمعي، وتوفير نوع

من التماسك والتآلف والانسجام بين جميع الطبقات والفئات والنخب الاجتماعية ، بشرط أن يكون الحكم بطريقة دورية وتناوبية.

ولكن لايمكن للنخبة أن تنجح، في أداء مهمها ووظائفها وأدوارها ، إلا إذا كانت نخبة مثقفة ومبدعة ونزيهة وتقية تخاف الله وتخشاه، وتجعل المصلحة العامة قبل مصلحتها الشخصية. بمعنى أن النخبة لاتكتسب قيمتها المجتمعية إلا بخدمة الدولة والمواطنين، وتسعى إلى التضحية والوفاء والتجلد والصبر، مع التطلع إلى تحقيق الأهداف التي سطرتها في برامجها السياسية أو النقابية ، وتكون ملتزمة بما نادت به من شعارات سياسية أو إدارية أو اقتصادية أو مجتمعية ، مع تطبيقها على أرض الواقع، بشكل عاجل أو متدرج، حسب أهمية المشاريع والقرارات والأولويات.

الخاتـــمـــة

وخلاصة القول، نستنتج، مما سبق قوله، أن النخبة هي فئة أو أقلية من الناس التي تتمتع بمواصفات طبيعية أو مكتسبة. وتتصف النخبة بصفات استثنائية على مستوى الذكاء، والقدرات العقلية والمنطقية، والكياسة الأخلاقية والاجتماعية، وامتلاكها لحسن التدبير الجيد، وقدرتها على إدارة المرفق العمومي وفق المصلحة العامة. ومن هنا، يمكن الحديث عن أنواع عدة من النخب، ولكن أبرزها - اليوم- النخبة السياسية، والنخبة الاقتصادية، والنخبة العسكرية . وإذا كانت النخبة الأولى تتميز بمؤهل العلم والثقافة والحنكة وسلطة السياسة، فإن النخبة الثانية تتمتع بسلطة المال والجاه والثروة والمشاريع الاقتصادية. في حين، تعرف الثالثة بامتلاكها لسلطة السلاح، وقدرتها على إدارة الجيش ، وتنظيم المؤسسة العسكرية.

ومن ثم، فهناك مجموعة من النظريات السياسية والاجتماعية حول النخبة، مثل: نظرية باريتو، ونظرية جايتانو موسكا، ونظرية روبرت ميتشيلز، ونظرية رايـت ميلـز، ونظرية توم بوتمور، ونظرية أورس ياجي، وغيرها من النظريات التي انصبت على تحليل النخبة فهما وتفسيرا وتأويلا.

ولكن ما يهمنا في هذه الدراسة أن للنخبة أدورا ووظائف مهمة في حياتنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فهي التي تحقق التوازن الاجتماعي، وتحافظ على نظام المجتمع وسلامته ونظامه. وبالتالي، تعد مظهرا من مظاهر الديمقراطية الحديثة والمعاصرة. وتعتبر كذلك بديلا لنظريات الصراع الطبقي ذات البعد الماركسي ؛ لأن النخبة أداة لتحقيق التعايش بين الطبقات والفئات الاجتماعية، ولاسيما إذا تمسكت بسياة التناوب حول السلطة ، أو تبنت نظرية دوران النخب وتناوبها حول الحكم.

ومهما انتقدنا فكرة النخب، واعتبرناها تعبيرا عن الصراع الطبقي والتفاوت الاجتماعي، فإنها الفئة الوحيدة القادرة على تسيير دوالب الدولة أو إدارة السلطة ، مادامت تتوفر على مؤهلات استثنائية، مثل: العلم، والذكاء، والعمل، والتقنية، والاستحقاق، والعبقرية، والكفاءة الإدارية والسياسية والتقنية والاقتصادية...

ثبـــت المصادر والمراجع

المصادر العامة:

١-ابن منظور: **لسان العرب**، الجزء الرابع عشر، دار صادر، بيروت، لبنان، طبعة ٢٠٠٣م.

المراجع باللغة العربية:

٢- توم بوتومور: **النخبة والمجتمع**، ترجمة: جورج جحا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية سنة ١٩٨٨م.
٣- جون سكوت: **خمسون عالما اجتماعيا أساسيا**، ترجمة: رشا جمال، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٩١٣م.
٤- جون سكوت: **علم الاجتماع المفاهيم الأساسية**، ترجمة: محمد عثمان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية سنة ٢٠١٣م.
٥- جون واتربوري: **أمير المؤمنين : الملكية والنخبة السياسية المغربية**، ترجمة: عبد الغني أبو العزم، عبد الأحد السبتي، وعبد اللطيف الفلق، مؤسسة الغني، الرباط، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٤م.
٦- حسن قرنفل: **المجتمع المدني والنخبة السياسية إقصاء أم تكامل؟** أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٧م.
٧- عبد الرحيم العطري: **سوسيولوجيا الأعيان**، دفاتر العلوم الإنسانية، الرباط/القاهرة، الطبعة الثالثة ٢٠١٣م.
٨- محمد الرضواني: **مدخل إلى علم السياسة**، سلسلة بدائل قانونية وسياسية رقم ٣، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٤م.

٩- محمد فايز عبد أسعيد: **الأسس النظرية لعلم الاجتماع السياسي**، دار الطليعة ، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٩٨٨م.
١٠- موريس دوفرجيه: **علم اجتماع السياسة**، ترجمة: سليم حداد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ٢٠٠١م.
١١- نبيل السمالوطي: **الإيديولوجيا وأزمة علم الاجتماع المعاصر: دراسة تحليلية للمشكلات النظرية والمنهجية**،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، طبعة ١٩٧٥م.
١٢- وسيلة خزار: **الإيدولوجيا وعلم الاجتماع، جدلية الانفصال والاتصال**، منتدى المعارف، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٣م.

المراجع الأجنبية:

13-C.Wright Mills **: L'élite du Pouvoir**, Éditions Agone, coll. « L'ordre des choses », 2012.
14- Jacques Coenen-Huther: **Sociologie des élites**, 2004.
15-Gaetano Mosca**:Elémenti di scienzia politica**, t.2, 1923.
16-Robert Michels **: Les partis politiques; essai sur les tendances oligarchiques des démocraties**; traduit par S. Jankélévitch, Published [c1914] Topics Political parties, Democracy.
17- Tom Bottomore :**Elites and Society** (London: Watts, 1964; Harmondsworth: Penguin, 1966; Harmondsworth: Penguin. 1967; New York: Penguin, 1970.

18-Vilfredo Pareto :**Cours d'économie politique**, Lausanne, F. Rouge, 1896–97 (2 volumes).
19-Vilfredo Pareto : **Les systèmes socialistes**. Cours professé à l'Université de Lausanne, Paris, V. Giard & E. Brière, "Bibliothèque Internationale d'Économie Politique", 1902-03 (2 volumes).
20-Vilfredo Pareto **.: Manuel d'économie politique**. Traduit sur l'édition italienne par Alfred Bonnet (revue par l'auteur), Paris, V. Giard & E. Brière, 1909.
21-Vilfredo Pareto **: Écrits sur la courbe de la répartition de la richesse,** Genève, Librairie Droz, 1965 (réunis et présentés par Giovanni Busino).
22-Vilfredo Pareto **: Traité de sociologie générale** *: édition française par Pierre Boven, revue par l'auteur. Préface de Raymond Aron*, Genève, Librairie Droz, 1968.
23-Vilfredo Pareto*:* **Trattato di sociologia generale**, Firenze, G. Barbéra, 1916.

المقـــالات:

٢٤- أسامة الزكاري: (النخبة المغربية التقليدية: الأصول والامتدادات خلال مغرب ما قبل الحماية)، **نخب مغاربية : الخلفيات، المسارات والـتأثير**، أعمال المنتدى المغاربي الثاني، منشورات مدى ، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٢م.
٢٥- أمين الكوهن: (تجار السلطان: مسار اغتراب نخب يهودية في مغرب القرن ١٩م)، **نخب مغاربية : الخلفيات، المسارات والـتأثير**، أعمال المنتدى المغاربي الثاني، منشورات مدى ، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٢م.

٢٦- سعيد جفري: (النخبة وسؤال الإصلاح في مغرب القرن ١٩م)، **نخب مغاربية : الخلفيات، المسارات والتأثير**، أعمال المنتدى المغاربي الثاني، منشورات مدى ، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٢م.
٢٧- طالب بويا ماء العينين: (النخب المغربية بين إخفاقات البروز وآليات البناء)، **نخب مغاربية : الخلفيات، المسارات والتأثير**، أعمال المنتدى المغاربي الثاني، منشورات مدى، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٢م.
٢٨- عبد الرحمن شحشي: (النخبة مقاربة في المفهوم)، **نخب مغاربية: الخلفيات، المسارت والتأثير**، أعمال المنتدى المغاربي الثاني، مطبعة سوماكرام، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٢م.
٢٩- عبد الكريم جدي: (تساؤلات حول نهاية دور المقف)، **نخب مغاربية: الخلفيات، المسارات والتأثير**، أعمال المنتدى المغاربي الثاني، منشورات مدى ، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٢م.
٣٠- محمد غيلاني: (المغرب والتحولات الاجتماعية في المغرب)، **نخب مغاربية : الخلفيات، المسارات والتأثير**، أعمال المنتدى المغاربي الثاني، منشورات مدى ، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٢م.
٣١- المختار بنعبدلاوي: (إنتاج النخب وتدويرها في المغرب)، **نخب مغاربية : الخلفيات، المسارات والتأثير**، أعمال المنتدى المغاربي الثاني، منشورات مدى، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٢م.

الفهرســـــة

الإهـــداء

المقدمة.....٥

المطلب الأول: مفهوم
النخبة.....٦

المطلب الثاني: خصائص النخبة
.....١٠

المطلب الثالث: تاريخ
النخبة.....١٢

المطلب الرابع: المغرب ومجتمع النخب.....١٨

المطلب الخامس: أنواع النخبة.....٢٧

المطلب السادس: تصورات نظرية حول النخبة.....٣١

المطلب السابع: أدوار النخبة ووظائفـــها.....٥٦

المطلب الثامن: نقد
وتقويم.....٦٠

الخاتمة.....
٦٣

ثبت المصادر والمراجع.....٦٥

الفهرسة.....٦٩

السـيرة الذاتيـة:

- جميل حمداوي من مواليد مدينة الناظور (المغرب).

- حاصل على دبلوم الدراسات العليا سنة ١٩٩٦م.

- حاصل على دكتوراه الدولة سنة ٢٠٠١م.

- حاصل على إجازتين:الأولى في الأدب العربي، والثانية في الشريعة والقانون.

- أستاذ التعليم العالي بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بالناظور.

- أستاذ الأدب العربي، ومناهج البحث التربوي، والإحصاء التربوي، وعلوم التربية، والتربية الفنية، والحضارة الأمازيغية، وديداكتيك التعليم الأولي...

-أديب ومبدع وناقد وباحث، يشتغل ضمن رؤية أكاديمية موسوعية.

- حصل على جائزة مؤسسة المثقف العربي (سيدني/أستراليا) لعام ٢٠١١م في النقد والدراسات الأدبية.

- حاصل على جائزة ناجي النعمان الأدبية سنة٢٠١٤م.

- رئيس الرابطة العربية للقصة القصيرة جدا.

- رئيس المهرجان العربي للقصة القصيرة جدا.

- رئيس الهيئة العربية لنقاد القصة القصيرة جدا.

- رئيس الهيئة العربية لنقاد الكتابة الشذرية ومبدعيها.

- رئيس جمعية الجسور للبحث في الثقافة والفنون.

- رئيس مختبر المسرح الأمازيغي.

- عضو الجمعية العربية لنقاد المسرح.

-عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية.

- عضو اتحاد كتاب العرب.

-عضو اتحاد كتاب الإنترنت العرب.

-عضو اتحاد كتاب المغرب.

- من منظري فن القصة القصيرة جدا وفن الكتابة الشذرية.

- خبير في البيداغوجيا والثقافة الأمازيغية.

- ترجمت مقالاته إلى اللغة الفرنسية و اللغة الكردية.

- شارك في مهرجانات عربية عدة في كل من: الجزائر، وتونس، ومصر، والأردن، والسعودية، والبحرين، والعراق، والإمارات العربية المتحدة،...

- مستشار في مجموعة من الصحف والمجلات والجرائد والدوريات الوطنية والعربية.

- نشر العديد من المقالات الورقية المحكمة وغير المحكمة، وعددا لا يحصى من المقالات الرقمية. وله (١١٤) كتاب، وأكثر من ستين كتابا رقميا منشورا.

- ومن أهم كتبه: الشذرات بين النظرية والتطبيق، والقصة القصيرة جدا بين التنظير والتطبيق، والرواية التاريخية، تصورات تربوية جديدة، والإسلام بين الحداثة وما بعد الحداثة، ومجزءات التكوين، ومن سيميوطيقا الذات إلى سيميوطيقا التوتر، والتربية الفنية، ومدخل إلى الأدب السعودي، والإحصاء التربوي، ونظريات النقد الأدبي في مرحلة مابعد الحداثة، ومقومات القصة القصيرة جدا عند جمال الدين الخضيري، وأنواع الممثل في التيارات المسرحية الغربية والعربية، وفي نظرية الرواية: مقاربات جديدة، وأنطولوجيا القصة القصيرة جدا بالمغرب، والقصيدة الكونكريتية، ومن أجل تقنية جديدة لنقد القصة القصيرة جدا ، والسيميولوجيا بين النظرية والتطبيق، والإخراج المسرحي، ومدخل إلى السينوغرافيا المسرحية، والمسرح الأمازيغي، ومسرح الشباب بالمغرب، والمدخل إلى الإخراج المسرحي، ومسرح الطفل بين التأليف والإخراج، ومسرح الأطفال بالمغرب، ونصوص مسرحية، ومدخل إلى السينما المغربية، ومناهج النقد العربي، والجديد في التربية والتعليم، وببليوغرافيا أدب الأطفال بالمغرب، ومدخل إلى الشعر الإسلامي، والمدارس العتيقة بالمغرب، وأدب الأطفال بالمغرب، والقصة القصيرة جدا

بالمغرب،والقصة القصيرة جدا عند السعودي علي حسن البطران، وأعلام الثقافة الأمازيغية...

- عنـــوان الباحـــث: جميـــل حمـــداوي، صـــندوق البريـــد١٧٩٩، الناظور٦٢٠٠٠، المغرب.

- الهاتف النقال:٠٦٧٢٣٥٤٣٣٨

- الهاتف المنزلي:٠٥٣٦٣٣٣٤٨٨

- الإيميل:Hamdaouidocteur@gmail.com

Jamilhamdaoui@yahoo.fr

كلمات الغلاف الخارجي:

يعد مفهوم النخبة (Elite) من المصطلحات التي يعنى بها علم الاجتماع السياسي. ويقصد بها طبقة أو أقلية من الصفوة المختارة من أفراد المجتمع، تتمتع بمؤهلات وقدرات طبيعية أو مكتسبة، وتعرف بامتيازاتها السياسية والاقتصادية والعسكرية والعلمية والثقافية.أي: تقترن النخبة بالقوة، والجاه، والنفوذ، والسلطة، والمجد، والشهرة، والتميز الاجتماعي الخارق... ومن ثم، يحيلنا مفهوم النخبة على الأفضلية والانتقاء والتميز والأرستقراطية. كما تعني النخبة الاصطفاء، والاختيار، والتفوق على الآخرين...